الزيـــارة
و .. تحولات الرؤى

نصوص قصصية

مجدي محمود جعفر

خيول أدبية

سلسلة إبداعات أدباء الشرقية

تصدرها محافظة الشرقية بالتنسيق

مع مديرية الثقافة

برعاية كريمة من سيادة المستشار يحي عبد المجيد محافظ الشرقية تحول حلم الأدباء إلي واقع ملموس ، وها هو الاستثمار الثقافى ينتقل من حيز القول إلي ميدان الفعل لتخطو على درب الحركة الثقافية والأدبية بالشرقية (خيول أدبية) ذات صهيل شرقاوى أصيل . تعزف على أوتارها تنويعات إبداعية فى مختلف ميادين وفنون الأدب العربي . ولاشك أن هذه السلسة الأدبية الجديدة سوف تحدث أثرا طيبا فى تفعيل حركة الإبداع الأدبي والفكري فى محافظة الشرقية الغنية بأدبائها ومبدعيها كما كانت على مر التاريخ .. حيث قدَّمت أعلاما استطاعوا أن يبرزوا الوجه الثقافى والحضاري لهذه المحافظة العريقة أمثال يوسف إدريس وصلاح عبد الصبور وعزيز أباظة ومرسي جميل عزيز ود. محمد مندور .. وآخرين .. حق لنا أنا نفخر ونفاخر بهم ، وأن نفخر بمن على دربهم يسيرون بخطيٍ واثقة فى طريق الإبداع الإنساني الهادف والنبيل . كما يحق علينا أن نفخر بقادتنا الذين يؤمنون بمنظومة العمل الثقافى فى تنمية وتوجيه فكر مجتمعنا .

يطيب لي أن أنقل شكر وتقدير الأدباء لقائد مسيرة التنمية الشاملة بالشرقية على هذا التوجه الحضاري والذي يؤكد على صدق إيمانه بأن الاستثمار الثقافى أعظم استثمار قومي للوطن ، تواصلا مع من يرسمون وجها مشرقا لمستقبل الثقافة والإبداع فى مصرنا الحبيبة .

والله الموفق والهادي إلي سواء السبيل

فتحي عقل

مدير عام الثقافة بالشرقية

خيول أدبية
سلسلة غير دورية
تعني بنشر الإبداعات الشرقاوية
قصص (الزيارة و .. تحولات الرؤى)
مجدي جعفر
الطبعة الأولي
مارس 2006

إهداء

إلى :

شباب الأدباء الذين يعيشون في أقاليم مصر ويبدعون في صمت .

إلى :

القادم من رحم الغيب : " مسيحاً " ، حُراً طليقاً، ضاحكاً مُستبشراً ، يلملم الجراح ، وينشر المحبة ، يوقف عاصفة اللحن الأسود ، وطوفان الدم ، يقتل غربان الموت ، والطاغوت !

مجدي جعفر

1- الزيـــارة

2004

الزيارة

لا أحب عادة زيارة المرضى ، يؤلمني منظر المريض وهو يتوجع ، تخرج الآه منه لتمزق قلبي ، وتفتت أعصابي .

أحياناً أدعو له بالرحمة ، والرحمة في عُرفي – كما في عُرف العامة تعني الموت .

نعم .. فالموت أرحم ، فالمريض يتمنى ولا ينال ، يشتهي ولا يستطيع ، يبطل جهده ، وتتبدد طاقته ، تتعطل عنده قوانين الجهد والطاقة والفعل ، وينعدم عنده رد الفعل تماماً ، بل يصبح لا يربطه بالحياة سوى صوت الألم .

كان راقداً في سريره ، في غرفة واطئة مصنوعة من الطوب اللبن ، ومعروشة بالغاب ، و " مرشوشة " بالجير ، وعندما دخلت عليه ودارت عيني في الحجرة ، لا أدرى لماذا تذكرت على الفور " أمل دنقل " وقصيدته المشهورة .

" في غرفة العمليات .

كان نقاب الأطباء أبيض .

لون المعاطف أبيض .

تاج الحكيمات . أردية الراهبات .

الملاءات .

لون الأسرة ، أربطة الشاش ، والقطن ، قرص المنوم، أنبوبة المصل ، كوب اللبن .

كل هذا يشيع بقلبي الوهن .

كل هذا البياض يذكرني بالكفن " .

هل اجتزائي هذا المقطع من قصيدة شاعرنا الجميل يغنيني عن الوصف والسرد .؟ وهل اجتزائي هذا المقطع يكفي لتعرف يا قارئي العزيز كم أنا أكره المرض وأهرب من المريض .

أقسم من البداية أني سأصدقك القول :

فحين أستعيد المشهد الآن ، أجدني وقد سرت رعشة خفيفة في بدني . كانت تقودني عبر سلم طيني إلى غرفته بالطابق الثاني.

ولأني أقسمت على قول الصدق .

تمنيتُ لحظتها — لو كان راقداً بالدور العاشر ، وأصعد السلم خلفها درجة ، درجة .. لأمتع ناظريَّ ، باهتزازات ردفيها ، واستواء ظهرها . هذه هي الحقيقة ، حتى لو لوى كاتب أو ناقد سلفي بوزه ، وامتشق قلمه ، وراح يلعن جدودي .

كانت شاهقة مثل جبل ، وعالية مثل نخلة .

حينما استويتُ أمامها — أمام الدار ، وهي تفتح لي الباب ، لا أدرى لماذا شببتُ على أطراف قدميَ ، عادة قديمة لازمتني كلما صادفتُ امرأة شاهقة.

بالكاد وصل رأسي إلى مستوى صدرها المنتفخ . لثوانٍ حار البصر بين الصدر وبين العينين السوداوين الواسعتين .

اختلج القلب حين استراحت يدها في يدي :

أنت الأستاذ عبد الله النهري ؟

طربتُ لأنها نادتني باسمي ، وعرفتني دون أن نلتقي من قبل.

هممتُ أن أسألها : كيف عرفتني ؟!

ولكني تذكرتُ أن صورتي تتصدر المقالة الأسبوعية التي أكتبها بالجريدة اليومية الأكثر انتشاراً ، وأن قصصي ورواياتي صدرت في عدة كتب هي الأكثر توزيعاً رغم ندرة القراء في وطننا العربي .

قلت " بفخر وثقة " : وهل يعجبك ما أكتبه؟

قالت : بالطبع لا !

ابتلعتُ غيظي ، ضاق صدري عن الغيظ ، فانتفخت أوداجي وجحظت عيناى ، واحمرت أذناى ، ونفختُ حتى لا تنفجر رأسي ،

فخرجت الأنفاس حارة ملتهبة .

قالت " ببرود " : هل أزعجتك صراحتي ؟

حككتُ أرنبة أنفي التي أحسستُ بها كقطعة من الجمر ، وعبثتُ بنظارتي الطبية ، ولم أعلق .

قالت : " الصراحة " كده " ، " دايماً " مؤلمة .

هممتُ أن أقول : ثمة فارق بسيط ، وفاصل صغير بسُمك شعرة بين الصراحة وبين الوقاحة . ولكني لم أقل .

" كنا نجلس بالغرفةِ – الراقد فيها صديقي – أتحاشى قدر استطاعتي النظر إليه ، وبين الحين والآخر ، أختلس النظر إلى سمانة رجلها الممتلئة و . . . "

(أعتقد أنه لا داعي لإكمال المشهد ، فالقارئ يستطيع أن يكمله)

قالت وهي ترى القلق بادياً على وجهي :

لا تقلق ؟ . .

كوب من الليمون أصنعه لك بيدي يزيل عنك التوتر والقلق ، ويهدئ من أعصابك .

ونهضت وهي تقول :

دعني آتي لك بليمونة أو بليمونتين ، " تحمشهما " بأسنانك

– كما أفعل – حين يداهمني الأرق " وتضحك " :

فليس لدينا سكر حتى أصنع لك كوب ليمونادة ! عموماً لليمون فوائد جمة ، أظنك لست بحاجة لأن أشرحها لك ، ولست بحاجة أيضاً لأن أبين لك أضرار السكر .فأنت تعلم أضرار كل ما لونه أبيض .

السكر ، الدقيق ، الملح .

لا أدرى . هل المرض هو الذي حرمنا منها أم الحكومة ؟

وراحت تثرثر :

هذا البيت المتواضع ، سورته بأشجار الليمون والنخيل بدلا من " الفيكس " ، لماذا نُصِر على غرس شجر" الفيكس " الذي بلا ثمر وبلا رائحة ونترك أشجار الليمون والخوخ والبرتقال والنخيل ؟.

تمد يدها . لتفتح النافذة الصغيرة – حيث كانت تجلس علي الأريكة التي أسفل النافذة مباشرة ، بينما أجلس أنا على الأريكة المواجهة للسرير الراقد عليه صديقي وأتحاشى النظر إليه ما أمكن .

يتسلل ضوء صغير ، ورائحة أشجار الليمون ، يبدد الضوء مساحة من عتمة الغرفة ، وتطرد رائحة الليمون رائحة الأدوية .

تنحني على النافذة ، تسد بجسمها الممتلئ فضاء النافذة تماماً ، أتأمل مؤخرتها وهي تفرط يدها عن آخرها ، تقطف بضع

ليمونات ، تلف بنصف جذعها ، وتقف في مواجهتي وتقول :

مُبلـل بالنـدى ، ومغسـول بمـاء المطـر ، ويُؤكـل هكـذا ...، و " تخمش " بأسنانها ليمونة ...وتقول وهي تلوك الليمونة بقشـرتها في فمها :

– يجب ألا نلوثه بماء " الطلمبـة " ولا بمـاء الحكومـة المخلـوط بالمجارى ! . .

تتلذذ بمضغ الليمونة ، تمسك بليمونـة أخـرى ، تقلِّبهـا بـين يديها ، وفجأة تدفعها إلى فمي " وتضحك " :

– اغـرس أسـنانك فيهـا أيهـا الكاتـب الكـبير ؟..... لمـاذا تجزع وتغمض عينيك ويختلج وجهك هكـذا ؟ ..ازدرد مـاء الليمـون ، دعه ينزلق إلى جوفك ليطفئ ناراً ، وليكن برداً وسلاماً علـى قلبـك ، على صدرك .

(قطع المشهد)

استدراک :

فـاتني أن أحكـي لـك عزيـزي القـارئ عـن دواعـي وملابسـات الزيارة ، وأنا الذي لم أزر مريضاً قط من قبل ، وإذا ما سـقط زميـلٌ أو

صديقٌ أو قريبٌ لي فريسة للمرض . أكتفي بإرسال باقة ورد له أو برقية أدعو له فيها بالشفاء . قد أزوره عندما أتأكد أنه قد امتثل للشفاء تماماً . أما واجب العزاء ، فلا أتخلف عنه أبداً ، وأنا حينما ذهبت إلى صديقي — كنت أظن والله أنى سأقدم واجب العزاء لزوجته التي لم أرها من قبل . هل أنا فعلاً لم أرها من قبل ؟. . ولأني أقسمتَ على قول الصدق أقول : ليس من الضروري أن يري الإنسان إنساناً آخر رؤيا العين ، فقد يراه بعين الخيال أو بقوة الحدس ، فأنا أزعم أنى رأيتها من خلال حديث صديقي عنها ، عندما كان يخصني وحدي بالحديث عنها ، فكان يرى أنني صديقه المفضل فيؤثر أن يفضفض معي ، ويبوح لي بأسراره ، ورغم أننا والله على طرفيّ نقيض ، فهو في زعمه وزعم كل أصحابنا الملتزم وأنا المنفلت ، ولا أجد غضاضةً أو حَرجاً في أن أفضي إليك بواقعة قد يجد المتنطعون من القراء والنقاد على السواء أنه لا ضرورة لها . ولا فائدة منها ، ولا تخدم النص الذي أكتبه ، ولكني أقسمت :

فذات يومٍ بعيد ، تركتُ له سريري ، رغم البرد القارص ، فكان يُمنى نفسه ويحلم بأن تأتيه في المنام ، فأفسحتُ لها مكاني على السرير ، وافترشتُ الأرض راضياً وضاحكاً ، وفى الهزيع الأخير من الليل ، تسللت على أطراف أصابعها ، وأطفأت النور ، وشاركتني أنا النوم على الأرض !

** ملحوظة :

هذه الواقعة " المنامية " التي لا أنساها أبداً ، كانت سبباً في عدم حضوري حفل زفافه ، واكتفيتُ بإرسال باقة ورد وخطاب تهنئة.

** عودة إلى المتن :

ذات صباح من صباحاتي المكرورة ، كنتُ جالساً بمكتبي بالجريدة ، وجاءت السكرتيرة الجديدة الحسناء ، بتلال الخطابات ، وكان هذا بداية عملها معي ، عشر سكرتيرات ارتبطن بي قبلها على مدى خمسة عشرة عاماً وعملن معي ، ما بين سمراء وشقراء ، طويلة وقصيرة ، ثيب وبكر، نحيفة وسمينة ، و " بين بين " . من تستعصي عليَّ أطردها ، ومن تسلم لي نفسها بسهولةٍ ويُسر أملها وأطردها أيضاً .

كنت أتأملها — أقصد السكرتيرة الحسناء — وهي تقرأ علىَّ ما دبجه القراء ، لم أجد فيها ما يغرى بما فيه الكفاية ، رغم جمالها اللافت بمقاييس السينما المصرية والغربية أيضاً .

(أعتقد أن كلمة مقاييس السينما — تكفى لأن يضع القارئ تصوراً لما تكون عليه السكرتيرة ، ويرسم لها الصورة الجمالية المناسبة وفقاً لمواصفاتِ ومعايير السينما)

المهم أنى شعرتُ بأني التقيت بها من قبل في أخريات : ربما

في النـادي أو الجريـدة ، في الشـارع ، في السـينما ...وحينمـا أقـول السينما أُذكرك بأني كاتب روائي ، ولي روايات أخذتها السينما ، وقام بتمثيلها .ممثلات ملء السمع وملء البصر . وأظن أن الإشارة هنا تغني عن العبارة والتلميح أفضل من التصريح كما يقول نقادنا الأشاوس !.

معذرةً إذا كنتُ أخرج أحياناً عن الموضوع ، وأقطع حبل التواصل ، فلا أكتمك سراً – أني في قصص وروايات البدايات ، كنتُ أحرص فيها على مد جسور التواصل والمحبة معك أيها القارئ العزيز ، وقد أجمعَ النقاد علي أني موهبة لافتة ، أفوق في بداياتي ، بدايات يوسف إدريس ! ولكن مر عامان ولم أكتب رواية ولا حتى قصة قصيرة ! ، لا أظن أنني أفلستُ فنياً كما يُشاع ، ولكني أحلم بكتابة نص أفجر فيه قاعدة الثبات ، أحطم السائد ، وأخرق المسار الأدبي المألوف ، وأنا أعوّل عليك كثيراً في هذا النص أيها القارئ .. أنا والله لا أكتبه عن قصدٍ أو عمدٍ ، ولكن الموضوع ، موضوع الزيارة ، هو الذي فرض هذا الشكل .... المهم أنى أريدك قارئاً نشطاً ذهنياً ووجدانياً ومعرفياً أيضاً ، تعمل فكرك ، وتجهد عقلك ، لا كسولاً تطلب الفكرة المجانية ، فعليك أيها القارئ ، أن تُشارك معي في إنتاج المعني أو في إنتاج الدلالة ، وتساهم في صناعة النص وأن تكون – كما نادى – رولان بارت – مُؤهلاً علمياً ومعرفياً وفنياً لتلقي النص ، ومناوشته والاشتباك معه ... فهل أنت مستعد؟

** هامش صغير :

" رولان بـارت " هـو الـذي أعلـن مـوت المؤلـف ، ونـاقش مفهومات مؤلف وقارئ ، وبشـر بعصـر القـارئ ، ولكـي يتحقـق عصـر القارئ الذي بشر به ، فإنه يفتح هذا العصر مجال النص بأن يعـرض لـه نـوعين مـن النصـوص همـا الـنص القرائـي والـنص الكتـابي . والـنص الكتابي هـو الـنص الحـديث الـذي يـدعو إليـه بـارت ، وهـو نـص يمثـل الحضور الأبدي ، والقارئ أمام هذا النص ليس مُستهلكاً وإنما هو مُنتج له ، والقراءة فيه هي إعادة كتابة له .

وللمزيد من المعلومات اقـرأ : د .عبـد الله محمـد الغـذامي . الخطيئة والتفكير – كتاب النادي الأدبي بالسعودية ، العدد (27)، عام 1985 ، ص 73 وما بعدها .

** عودة إلى المتن مرة أخرى :

كانت السكرتيرة الحسناء " بمقاييس السـينما " تقـرأ علـيَّ ، وأنا شارد الذهن ، موزَّع الفكر ، وأقول لنفسي : لمـاذا لا تُثيرنـي هـذه الفتاة وأنا الذي أُستثار بسهولة ؟....

أحاول أن أتخيلها وهي بين ذراعيَّ ...

(فـاتني أن أقـول لـك – أنـه منـذ أن صـعد نجمـي في سمـاء الصحافة والأدب وأنـا لا أجـد صعوبة في اصطياد الجمـيلات ، بـل أن

معظمهن كن هن اللاتي يسعين إليّ)

كانت لم تزل تقرأ . وعندما تحسستُ شعري فجأة ، أحسستُ بزيف سواده ، منذ متى وأنا أصبغه ؟......" تساءلتُ بيني وبين نفسي " : هل انكسر الزمن في داخلي ؟ هل ؟.....وهل ....؟

أحاول أن أبعد هذا الهاجس عن نفسي ، فأنا رغم الخمسين عاماً التي تركتها ورائي ، أعتقد ، بل متأكد ، أنني لم أزل قادراً . . حتى لو فرت منى السكرتيرة السابقة في ليلة خائبة ، مجرد ليلة من آلاف الليالي خابت ، ومحاولة من آلاف المحاولات طاشت — هل هذا يعنى أنني ....لا .....لن أعلن انهزامي ، ولن أستسلم هذا الهاجس الشيطاني .

أحسستُ بيدها الرقيقة تهزني :

أستاذ ؟.....أستاذ ؟.....هذا الخطاب ، اقرأه بنفسك ؟

نحيتُ الخطاب جانباً ، وأمسكتُ بيدها ، تحسستُ خديها ، ولضمتُ فمي في فمها ، أحاول . . . ، تسحب فمها . . . ، وقلبها يعلو ويهبط ...وتشير ناحية الباب ، أمضي إلي الباب ، أتأكد من غَلقه تماماً ، أنزع قميصي وأزيح الستارة التي تفصل السرير عن المكتب ، وأدعوها لتطارحني الغرام ، أحاول وأحاول ، ولكني أفشل . وبينما أنا أخبط بيدي عارضة السرير(كما يفعل البطل المأزوم في الأفلام العربية !!) ، كانت ترتدي ملابسها ، والدموع في عينيها ،

وتلقي على مسامعي ما ألقته السكرتيرة السابقة : أنا مستقيلة يا أستاذ .

** حاشية :

خطاب مهمل ، ملقى على المكتب ، غير ممهور بتوقيع ، وليس فيه ما يشفي الغلة ، مكون من سطر واحد فقط ، مرت عليه عينيّ فتجمدتا ، فقط أربع كلمات لا غير " صديقك سعيد صبري يحتضر " ، حوقلت ، وجلست على الكرسي ، وأسندت مرفقيّ على المكتب ، وحشرتُ رأسي بين راحتيّ ، وأغمضتُ عينيّ ، تواردت على ذهني صور وحكايات ، شخوص كانت ساطعة تتوارى ، أشياء تخبو ، وأشياء تتوهج ، أشياء تذبل وأشياء تتفتح ، ومن رحم حكايات " سعيد صبري" القديمة كانت تتخلق ، تنمو شيئاً فشيئاً ، تشب عن الطوق ، خراط البنات يخرطها قبل ألاوان : جبهتها العريضة ، وصدرها العالي ، قوامها الممشوق ، وعودها السامق ، شعرها السارح خلفها ، باسمة الثغر ، ضاحكة السن ، دقيقة الأنف ، حلوة الملامح ، عذبة التقاطيع ، اسمها " سلوى " ، دعاها سعيد في المنام فجاءتني أنا .

تحتل سلوى الآن الكادر بالكامل ، أُثبت الصورة عليها ، تتوارى كل النسوة اللائي عرفت ، أتأملها ، أزدرد ريقي وأنا أتذكر يوم أن طارحتني الغرام على الأرض . أشعر بدبيب الشباب يغزوني ،

بدماءٍ عفية تتدفق في عروقي ، تضخ سلوى في شراييني دماء جديدة ، أنهض ، أرتدي قميصي على عَجَل ، وأُعلق " الجاكيت " على كتفي ، وكشاب في العشرين ، أقفز درجات السلم قفزاً ، لم أنتظر المصعد ، أدير المفتاح في السيارة ، أنهب الطريق إلى قرية " سعيد صبري " نهباً ، وصورة " سلوى " المتخيلة . ولا يخامرني شك في أنها ستطابق الواقع — تخايلني ولا تفارقني .

(أكتفي بهذا القدر من الحاشية ، التي تتسع للمزيد من الفضفضة والبوح ، وهذا القدر يكفي تماماً للكشف عن الجوانب الجوانية للشخصية الإنسانية التي نحن بصددها ، ويكفى أيضاً لكي لا يدعي دعيٌ عليّ ويتقوّل بما ليس فيّ ، فمن يدرى — ربما قارئ ترك اللحية ، وقص الشارب ، ولبس الجلباب القصير ، يقرأ ما كتبته ، فيحل دمى ، رغم أنني والله أكتب هذا النص — ونحن في أحد الأشهر الحرم)

** عودة مرة ثالثة إلى المتن :

طول عمري — وأنا أكره الخط المستقيم ، وكنت ومازلت — أفترض أنه خط وهمي لا وجود له في الواقع ، فالأصل هي الدوائر وأنصاف الدوائر ، والمنحنيات ، أعشق المنحني وخاصة في لحظات الصعود والهبوط ، أكره القطر وقضيب القطر ، فالقطر ينطلق من نقطة محددة ، ويسير في اتجاهٍ واحد ، ليصل بسلام إلى محطة الوصول ،

في تقديري ليست الحياة هكذا – ورحلتي معها لا تعرف الطرق المستقيمة الممهدة ، ثمة طرق متعرجة ، وملتوية ، وحواري ، وأزقة ، ثمة طرق غير مطروقة ، أسعى للسير فيها ، يكفيني شرف المحاولة ولذة الاكتشاف.

** عودة إلى سلوى :

قالت سلوى : لماذا جئت ؟

قلت " وأنا أراوغ " : غلبني الشوق .

قالت "متهكمة " : الشوق لي أم لسعيد ؟

ألجمتني عبارتها ، وكأنها كانت تقرأ ما في داخلي ، رغم حِرصي علي إضماره .

(أُذكرك عزيزي القارئ ، بأن هذا أول لقاء لي معها في الواقع وأصدقك القول : أن الصورة المتخيلة لها عندي قد طابقت الصورة الواقعية تماماً ، ولا أملك إلا أن أقول – إن لله في خلقه شئوناً ، ويمكنك عزيزي القارئ إذا كنت في شك أن تَطَلّع على ما دونه علماء النفس المعاصرون وتقترب من شطحات المتصوفة والعارفين ، و أفلح من قال : " قلوب العارفين لها عيون / ترى ما لا يراه الناظرون.....)

قالت : أعرف ما توسوس به نفسك ، وما يدور في خلدَك !

قلت " ضاحكاً " : ولى زمن المعجزات يا سلوى .

قالت : لكن الله يختار من عباده من يشاء ليكشف عنهم الحُجب .

ولم تمهلني لأتجاذب معها أطراف الحديث وراحت تقول فيما يشبه البوح : كان يحدثني عنك كثيراً ، كان يحبك رغم انفلاتك ، وكان يحرص على شراء الجريدة التي تكتب فيها ، ويترقب صدور مجموعاتك القصصية وراياتك ، أحياناً كان يوازن بين شراءها وبين شراء أرغفة الخبز ، كان ينتصر لجريدتك وكتبك !

لم تعد كلمتك كما كانت ، أحسَّ بأنها فقدت اتصالها وتواصلها بروح الأمة وضمير الشعب ، لم تعد تحفز الهمم ، وتنهض بالعزائم ، لم تعد تحرض وتغير ...كان يحزن لتغيُرك ، والانسلاخ من جلدك ، امتنع عن شراء جريدتك وكتبك — لما انحزت علناً لطبقة الأثرياء والحُكام ، أصبح جُل همك أن تصوغ أحلامهم وأشواقهم لا أشواق وأحلام الناس البسطاء العاديين ، وقعت في غرام وهوى أهل السلطة وأهل المال ، وتحولت إلى بوق لهم ، تحمل رؤيتهم وأيدلوجيتهم، وانصرفت عن الناس وقضاياهم ، سافر إليك ليصارحك ، زغت من مقابلته ، بعث إليك برسائل يبثك فيها مخاوفه، كان مكانها سلة القمامة ، فعل كل ما يستطيعه من أجلك ، كان يرى فيك موهبة كبيرة تتبدد ، فيترقرق الدمع في مآقيه ، معذرة ،

معذرة أيها الكاتب الكبير، كانت كل أمانيه أن يلتقي بك ، لا لتنقده مالاً لنسد الرمق أو لندفع أجرة الطبيب ، والصيدلي ، ونسدد دَيننا ، بعنا كل شيء : أساوري ، قطعة الأرض ، الراديو ، التلفاز، المتاع ، خاتم الخطوبة . و ها أنت ترى . لم نعد نملك غير هذا السرير الراقد عليه وهاتين الأريكتين . لا موقد للكيروسين ، لا حلل ولا أطباق ولا ملاعق . معذرة ، معذرة أيها الكاتب الكبير ، فليس لدينا سكر ولا دقيق و لا ملح ، وهذه أول مرة تزورنا ، وليس لدينا ما نقدمه لك ، لا تتعجب كيف نعيش ؟!

تنظر إلى زوجها الراقد على السرير ، صامتاً ، لا يتحرك ، وتخاطبه :

قلت له كل ما كنت تتمنى أن تقوله له ، حققت لك أمنية عزيزة لم تستطع أن تحققها ، كم كنت أتمنى أن أحقق لك أعز وأغلى أمانيك ، وتلتفت إليَّ :

كان يحلم بولد ، تصور كان يريد أن يسميه عبد الله !!

لا أتمالك نفسي ، أنهض والدموع تنهمر من عيني ، أرتمي بجواره على السرير ، أغمره بالقبلات ، و أجدني أصرخ : سعيد لازم يعيش ، لازم يسافر بره ، النهار ده قبل بكره ، فرنسا ، إنجلترا ، أمريكا ، أتحسس جيبي ، " الموبايل " ، أين " الموبايل " ؟ يبدو أني نسيته بالسيارة ، أهم بالخروج ، تمسك بذراعي .

- لا داعي أيها الكاتب الكبير ، فات الأوان ، سعيد يحتضر ولا جدوى مما تفعله الآن .

وتمد يدها أسفل الوسادة ، تسحب مصحفاً وتقول :

- سعيد يحتاج لمن يقرأ له القرآن .

وبينما أمد يدي لأتناول المصحف ، تسحب المصحف بسرعة و تقول :

" لا يمسه إلا المطهرون " وتطلب منى أن أذهب إلى "الطلمبة" بالدور الأرضي لأتوضأ وأتطهر ، نتحلق معاً حول سعيد على السرير، نقرأ له القرآن .

** رؤى :

وفى تلك الليلة ، رأيت ، عزيزي القارئ العجب ، بل عجب العُجاب وإليك بعض هذى الرؤى ، ولك أن تتصور مكابداتي .

* الرؤية الأولى :

كان الليل قد أرخى سدائله ، وأظلمت الدنيا تماماً ، طويتُ المصحف ، فلم أعد أرى الآيات في المصحف ، وأنا لا أحفظ سور القرآن، وربما تكون هذه المرة الأولى التي أتلو فيها القرآن ، لا أذكر أني

قرأت القرآن منذ أن كنت في المدرسة ، فقط كنت أحفظ قصار السور التي ندرسها في منهج اللغة العربية والتربية الإسلامية .

كان صوتها وهى تقرأ القرآن ندياً وجميلاً ، ولما حانت مني التفاتة ، رأيت ، ويا للعجب ، هالة من النور ، تخرج من المصحف ، فتحت عينيَ عن آخرهما مأخوذاً ومشدوهاً ، خلعتُ النظارة وفركتُ عينيَّ ، كلما تُقلِّب صفحة من صفحات المصحف ، تغطيها هالة من النور ، رغم بُعد المسافة بيني وبينها ، أرى الأسطر والكلمات ، واضحة جلية ، أقرأ معها على البُعد ، كلمات المصحف مكتوبة بحروفٍ من نور ، أقترب منها وأقترب وأنا مشدوة ، لا أصدق ، أمد يدي لأتناول المصحف الذي تقرأ فيه ، وما كاد المصحف يقع بكامله بين يديّ . حتى اختفت هالة النور . أبتئس ، تتناول المصحف مني ، تطويه ، تُقبله ، وتضعه تحت الوسادة ، وتربت على كتفي .وتنهض .

الرؤية الثانية :

في جوفِ الليل ، تفترش الأرض ، تحت النخلة السامقة ، تهز جذعها ، يتسَّاقط في حجرها ، بلحٌ ، ر طبٌ جنيٌّ ، ــ أزعق في داخلي : مريم تلك أم سلوى ؟!

تتناول البلح ، تمضي إلى سعيد الراقد في فراشه ، تزيل قشر البلح الرطب ، وتنزع النواة ، تدغدغه بأسنانها ، قطعاً صغيرة ، برفق تُنهض سعيد ، ترخي رأسه على كتفها الأيسر ، تُطعمه قطع البلح

وهى تغني له أغنية أم لطفلها ، ألمح في الظلام بياض أسنانه وكأني به يبتسم ، تهدهده وهى تخرج له صدرها ، وتلقمه حلمة الثدي ، أغمض عينيَّ ، وأنا أحس باللبن يتسرسب لذيذاً وينغمر على جانبيَ فمه ، أجرى من الغرفة ، وأسند رأسي على الجدار الخارجي للغرفةِ وأبكي .

الرؤية الثالثة :

قبيل الفجر ، تنشق الأرض عن دجاجة ، ذات جناحين كبيرين وريش وفير ، ناصع البياض ، تقفز على الأريكة، وتضع ثلاث بيضات ، وتختفي ، تتناولها سلوى وتقول :

- هذه لسعيد ، وهذه لي ، وتلك لك .

وتمد يدها لي بالبيضة الطازجة ، الساخنة ، أتوجس ، تبتسم :

إنها نصيبك ، لا تخف ، هي رزقك ، نحن لا نحتاج إلا لبيضتين فقط ، ولا تضع الدجاجة عادة غيرهما ، ولكنها هذه المرة وضعت ثلاثاً ، وما زاد عن حاجتنا ليس رزقنا .

هممتَ أن أتكلم . أشارت بيدها :

أنا فقط التي أتكلم ، أما أنت تري فقط ولا تتكلم ، أعرف ما يدور بخلدك ، اصبر وإلا الفراق ؟!

أتناول البيضة ، وأضعها في جيبي ، وأفرط يدي إلى السماء

وأنادي : ألهمني يا رب الصبر ، ولا تجعلني عجولاً مثل موسى ، وأقول في داخلي : سأستطيع معك صبراً يا سلوى .

ولكن موسى لم يستطع صبراً على أكثر من ثلاث مشاهدات ، ضاق به الخضر وكان الفراق ، لا أريد الفراق يا سلوى .

** رؤيـــــا :

أخذتني سِنةٌ من النوم ، أرى سعيداً يعود عفياً ، تبتسم سلوى ، تبلل دموع الفرح عينها ، تحضنه ، تقبله ، يتحسس شعرها ، خدها ، يأخذها في حضنه ، وطيور بيضاء وخضراء تحلق حولهما ، أصحو على صوت سعيد وهو يقول : إني أشم رائحة الجنة .

ويشير لسلوى : إنها على بُعد فرسخ واحد !

أرفس البطانية بقدميّ ، لا أدرى من ألقاها عليَّ ، إنها بطانية سعيد ، أهز رأسي ، أتلفتُ حواليَّ ، لا أثرَ لسعيد ولا لسلوى ، مُسرعاً أهبط الدَرجَ ، لا أجد أمام الدار سوى سيارتي وحولها أولادٌ صغارٌ يعبثون بها ، ويتنطَطون عليها ، أسأل الأطفال :

حد منكم شاف سلوى ؟

** عودة أخـيرة إلى المتن :

ولأني أقسمتُ من البداية على أن أكون صادقاً معك فقد

حدث الآتي :

أنني أخذت أسير بسيارتي في الشوارع ، والطرقات ، على غير هدى ، لا يخامرني شك أني سأعثر على سلوى وسعيد ، ولما أعياني البحث والتطواف ، ذهبتُ إلى شقتي مكدوداً وحزيناً مكتئباً ، أصطدم بتلال الكتب ، سحبتُ " فيشة " التليفون ، وأغلقتُ " الموبايل " وتمددتُ على سريري ، وأغمضتُ عينيَّ ، أحاول أن أستعيد سلوى ، وما جرى في تلك الليلة ، نظرتُ إلى مؤلفاتي التي وضعتها في مكان بارز ولا فت بالمكتبة ، وإلى أكوام الجرائد التي تحمل مقالاتي ، وتتصدرها صورتي :

كانت عيناى على الكتب وصوت سلوى يرن في أذنيّ :

" أصبح جُل همك أن تعبر عن الوجهاء والأثرياء ، تعبرعن أهل السلطة ، تصوغ أحلامهم وأشواقهم لا أشواق وأحلام الناس العاديين البسطاء "

أعتدل على السرير ، ورأسي بين ذراعيّ ، تكاد تنفجر وصوت سلوى يبعثرني ، يجعلني أتشظى ، أتناثر ، أتفتت.

" وقعت في غرام أهل السلطة والحُكم...وقفت تغني بين آيادي الملوك والأمراء والسلاطين...

انصرفت عن الناس وقضاياهم ، تحولت إلى بوق ..."

أنهض ، بصعوبة أنهض ، أحاول أن أتماسك ، أتسند على الجدران ، أصل إلى مكتبتي ، أتناول كتبي ، وجرائدي ، أحزمها ، تتلبسني روح أبو حيان التوحيدي :

هل أمضي بك أيتها الكتب إلى جبل ، وأحرقك كما فعل التوحيدي ، أم أمزقك وريقة ، وريقة ، وأذروك مع الرياح كما فعل أبو سفيان الثوري .

أشعل فيها النار ، أضحك ، وأنظر إلى كتب الأصدقاء من مصر وسوريا ، والعراق وفلسطين ، كتب من كل الأقطار العربية .

ألقي بها في النار ، وأصرخ : إلى الجحيم ... ، إلى الجحيم .. ومع آخر كتاب أحرقه ، أشعر بدبيب الراحة تغزوني ، ولكني بدأت أشعر بالجوع والعطش ، أتحسس جيبي ، ما زالت البيضة التي أعطتني سلوى إياها ، ساخنة ، طازجة ، وكأن الدجاجة وضعتها تواً ، أقلّبها بين يديّ ، أتأملها ، أزيل عنها القشرة ، يتصاعد منها بخار ساخن ، ألوكها في فمي ، أشعر بالشبع ، ولكني رحت أبحث عن صدر سلوى ، لترخي عليه ، وتهدهدني ، وتلقمني حلمة الثدي ، وتسقيني من صدرها شربة لا أظمأ بعدها أبداً .

2- تحولات الرؤى
2002

تحولات الرؤى

(1)

على جُرف نهر صغير ، تحت شجرة صفصاف ، والشمس تنحدر صوب الغرب ، وتبدو من خلف أشجار النخيل الباسقات ، الواقفات على الشط المقابل ، ككرة مائلة حمراء ، تعكس كل ألوان " قوس قزح " ، يجلس رجل ، مرتدياً نظارة طبية سميكة ، يسند ظهره إلى جذع شجرة الصفصاف ، ويمدد ساقيه ، ويمسك بكلتا يديه كتاباً ضخماً .

يقتحم عبد الله النهري خلوته :

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

لم يرد الرجل السلام

عبد الله مكرراً :

- السلام والتحية لأستاذنا .

لم يرد الرجل السلام ولا التحية .

عبد الله رافعاً صوته ظناً منه أن الأستاذ به صمم :

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الأستاذ ناظراً له بطرف عينه من خلف النظارة ، وبحسم :

= احترم جلستي مع الكتاب .

عبد الله :

- آسف ، آسف يا أستاذ .

الرجل " مشيراً بيده " :

= الزم الصمت ؟!.. يمكنك أن تنتظر أو لترحل !

[عبد الله منسحباً للخلف ، وجالساً على بُعد خطوات منه ، ومنشغلاً عنه بالنظر إلى الشمس المائلة ، وأشجار النخيل على الشط المقابل ، وماء الترعة المنساب برقة ، والخُضرة المفروشة على مرمى البصر ، وبالفلاحين العائدين من الحقول ، يمتطون الحمير ، ويسحبون البهائم ، ولا يلقون بالسلام على الأستاذ المتوحد مع الكتاب ، احتراماً لخلوته ، وعلاقته الحميمة بالكتاب ، فأجلَّهم ، وأكبرهم في نفسه .

ترى ما هذا الكتاب الذي استحوذ على عقل ووجدان وحواس الأستاذ ؟! .

عبثاً يحاول أن يلتقط اسم الكتاب ، أواسم مؤلفه ، فربما معرفة عنوان الكتاب أو اسم مؤلفه — يدخله إلى العالم الذي يعيش فيه الأستاذ — العالم الذي شغل الأستاذ عنه وعن كل ما حوله .

راح يتأمل ذقن الأستاذ النابتة ، وجلبابه المتسخ ، وشعره الأكرت الهائش ، والشعر الأبيض الذي غزا ذقنه ورأسه ، وتساءل في نفسه :

– منذ متى لم يحلق الأستاذ ذقنه ويهذب شعره ؟

ومنذ متى لم يغسل جلبابه ؟

ينحسر الجلباب المتسخ ، والمتهرئ عن جزء من ساقه ، فيرى أن الساق قد امتلأت بالدمامل ، والبثور ، وآثار الأظافر من دم فاسد ، وخطوط حمراء ، وبقع سمراء .

راح يقرن في ذهنه بين ما كان عليه الأستاذ — وما آل إليه حاله ، يحاول أن يجمع ما قد تناثر إلى سمعه عنه من الذين يعرفونه ، وخاصة رئيس التحرير .

هل هذا هو مدرس الفلسفة ، الذي ورث عن أبيه ، أغنى أغنياء المنطقة ، عشرات الأفدنة ؟!..

هـل هـذا هـو مـدرس الفلسـفة – الـذي لم يعمـل بالتربيـة والتعليم غير أسبوع ، ودخل الفصل لأول مرة ، مرتدياً جلباباً أبـيض ، نظيفاً ، فضفاضـاً ، ومنـتعلاً " بلغـة " بُنيـة ، خفيفـة ، يفـوح منـه العطر الباريسي ، ضارباً بعرض الحائط التقاليد والأعراف المدرسـية ، لاعناً في أول يوم .. الوكيل ، والناظر ، والموجه ، ومستشار الفلسفة ، ومُمزقاً الكتـاب المدرسـي ، ولاعنـاً المـنهج ، والقولبـة ، والحجـر علـى العقول ، والتعليم في حجرات مُغلقة ، والأسوار حول المدرسة ، وكـان أول مدرس يفاجئ الجميع ، بـالقفز مـن شـباك الفصـل أمـام الطـلاب ، ومـن فـوق السـور العـالي ، الـذي يلـف المدرسـة ، ولم يـدخل بعـدها المدرسة أبداً .

الشمس كرة صغيرة في الأفق ، والأستاذ يمد يـده " يهـرش " ساقه بقسوة ، تسرى رعدة خفيفة في جسد عبد الله وهو يرى " القيح " والدم الفاسد .

ومازال الأستاذ مشغولاً بالكتـاب لا يشـعر بوجـود عبـد الله ولا حتى بساقه التي تنز الدم و"المدة " .

خطر ببال عبـد الله أن يتمـرد ، أن يلفـت انتبـاه الأسـتاذ إلى وجوده .

أمسك ببعض الأحجار ، وراح يلقى حجـراً تلـو حجـر في مـاء الترعة ، ارتطام الأحجار بالماء تُحدث ضوضاء وجلبة ، وتصنع دوائر

تلو دوائر ، تتداخل ، وتتسع ، وتضيق .

ولما لم ينتبه الأستاذ ، فكر للحظة — أن يلقي بالحجر في رأس الأستاذ .

راقته الفكرة ، لم يفكر في النتائج ، ولا العواقب ، أمسك ببعض الحصى ، انتقى حصاة صغيرة بحجم حبة الفول ، قلَّبها بين إصبعيه ، تأملها ، نظر إلى رأس الأستاذ ، وصوب الحصاة واستقرت في شعر الأستاذ ، ولما لم ينتبه الأستاذ قال في نفسه وهو يمسك بحصاةٍ أخرى أكبر حجماً :

– عليَّ أن أزيد من قوة الدفع ، وأبعد قليلاً عن شعره ، فهذا الشعر الكثيف الهائش مثل صوف الغنمات ، قادر على حماية فروة رأسه .

تخير إخدوداً بين عرقيّ القفا ، صوب ، ولكنه أخطأ ، وارتطمت الحصاة بجذع شجرة الصفصاف ولم تُحدث أثراً يُذكر .

... كانت الشمس قد اختفت تماماً ، والأستاذ طوى الكتاب ، ووضعه إلى جواره ، وراح ينظر إلى نجمةٍ تبزغ في السماء .

قال عبد الله في نفسه :

– إذا خاطبته الآن سيثور ويقول لي : احترم صمتي ؟!

راع عبد الله في تلك " الغبشة " ، منظر أنف الأستاذ ، وأذناه

، وقال في نفسه :

– ما بال أنف الأستاذ طويلٌ ممتدّ ، وفتحتاه واسعتان مثل طاقتيّ فرن ، وأذناه طويلتان ، كبيرتان ، مثل أذنيّ حمار !!

.. حدثه رئيس التحرير عن علاقة الأستاذ بالناصريين ، والشيوعيين والساداتيين ، والإخوان المسلمين ، عن علاقته بإسرائيل كأول من قام بالتطبيع مع العدو !!

عن محاولاته في الرواية والمسرحية ، وإنشاءه لفرقة مسرحية ، عن بيعه لأرض أبيه فداناً وراء فدان .. عن نزقه ، وطيشه ، ومغامراته .

عن السنوات التي قضاها خلف القضبان ، عن.. وعن ..

.. ينظر عبد الله إلي الأستاذ الذي نهض فجأة ، ونزع جلبابه ، فبدا في ملبوساته الداخلية ، فارعاً ، مشدود القوام ، رغم تجاوزه الستين ، تمطع ، وفرد ذراعيه ، وثناهما ، فبرزت عضلاته وبدت ككرة جلدية منتفخة ، ثنى جذعه يميناً ويساراً ، حرك ساقيه ، جرى في المكان ، مارس بعض التمارين الرياضية ، وفوجئ عبد الله به . يخلع ملبوساته الداخلية ، وبدا له عارياً تماماً ، وقفز إلى الترعة ، يفرق الماء بكلتا يديه ، وكسمكة كبيرة راح يسبح في الماء .

فكر عبد الله أن يسرق ملابسه ، ويتابع من بعيد آثار

اختفائها ، وكيف سيتصرف ؟!.. ويرصد بالكاميرا والقلم رد الفعل عنده ، ولكنه تراجع عن هذه الفكرة الصبيانية .

" وضحك " :

- لو كانت امرأة أو صبية لفعلتها !.. وقد سبقني امرؤ القيس !.

يخرج الرجل من الماء ، ماسحاً بيده رذاذ الماء المتبقي على جسمه ، ونافضاً ما علق بشعره ، ويرتدى ملابسه.

ويقف متمتماً بكلمات ، ثم رافعاً يده لأعلى ، ورافعاً صوته: الله أكبر ، ويشرع في الصلاة .

أطال في الركوع وفي السجود .

يقول عبد الله في نفسه :

- هذا الشيوعي القديم الذي جهر للناس ، بإلحاده ، يصلي !

نقل له رئيس التحرير ، الذي زامله ، ورافقه طويلاً ، أنه ما صام ولا صلي ، وأول مرة دخل فيها المسجد ، يوم أن خطب ابنه الشيخ ، كبير الإخوان في الناحية .

يصغي عبد الله إلى دعائه ، وتبتله ، وتقربه ، إلى بكائه ، ودموعه التي تنهمر . كم من الوقت مرَّ عليه وهو يصلي ؟.. ساعة ،

ساعتين ، لا يدرى . ولما فرغ من الصلاة ، عاجله عبد الله بمد يده قائلاً له :

- تقبّل الله يا أستاذ .

احتضن الأستاذ يده وقال :

= تقبّل الله منا ومنك .

وملتفتاً إليه :

= من أنت ؟!

- عبد الله النهري .

= من أمك ؟

عبد الله ضاحكاً :

- ولماذا أمي ؟

= ألست بلدياتي ؟!

- نعم .

= إذن قل لي من أمك ـ أقل لك من أنت !

عبد الله ضاحكاً :

- صدقت يا أستاذ !

عموماً أمي سيدة طيبة ، ابنه رجل طيب ، فأمي هي فلانـة ، بنت فلان ..بنت فلان ، ولا أعرف أكثر من هذا !! .. أما نسبي لأبى ، أستطيع أن أصل معك به إلي الجد العاشر .

الأستاذ ناهضاً :

= هيا ، انهض معي ، فأنتم جيل مقطوع الصلة ، فيما مضي كانت شجرة الأنساب مهمة .

ومتأبطاً ذراع عبد الله

عبد الله :

- إلى أين ؟!

= أشعر بالجوع . قل لي ماذا تريد أن تأكل ؟

- وما أدراك أنني جوعان ؟!

= انتظرتني ما يقرب من ست ساعات .

- إذن كنت تشعر بوجودي ، ولم تعرني اهتماماً .

= أدركت أنك فنان .

- كان هذا أدعي أن تهتم بي ، وتوليني الاهتمام .

= طبعاً لا تكتب الشعر .

- وما الذي جعلك تجزم بهذا ؟

= الشاعر قلق بطبعة ، ولا يطيق الانتظار .

- وماذا تراني أكتب ؟

= الرواية أوالمسرحية ، هذا يحتاج إلى دأب ، وصبر وأناة .

- أحترم ذكائك ، وأقدر فراستك ، ولكنني جئتك كصحفي حيث أنني . .

= أوشكنا علي دخول العزبة ، قل لي ماذا تريد أن تأكل ؟

- الموجود يا أستاذ . ولكن الجريدة التي أعمل بها . . كلفني رئيس التحرير . .

= كل شي موجود !

- ربنا يزيدك ، ويوسع عليك يا أستاذ ، لكن التحقيق الذي يريده رئيس . .

الأستاذ مشيراً إلي أول دار بالعزبة :

= أهل هذه الدار يطبخون ملوخية بالأرانب ، هل تحب الملوخية بالأرانب ؟

عبد الله " مستغرباً " :

- في الحقيقة يا أستاذ - أنا أكره منظر الأرانب بعد ذبحها وسلخها ، فتبدو لي مثل الأطفال العرايا !

= إذن في هذه الدار

" ويسحب شهيقاً "

= لحم بط بلدي " ومحشي " ورق عنب .

" عبد الله متعمداً أن يسير بالأستاذ أطول فترة ممكنة ، ليتأكد مما جال بخاطره للحظة ، وهو يتأمل أنف الأستاذ ، وأذناه ، خاطر ومض في رأسه كالبرق الخاطف "

- والله يا أستاذ أنا لا أحب لحم البط .

= باذنجان مقلي ؟!

= عدس ؟!

= طعمية ؟!

= فطير ؟!

- القولون . . القولون يا أستاذ .

= لا بأس . . ألف لا بأس . . إنه داء العظماء ! ، علينا إذن بالبحث عن المسلوق .

" يستنشق بعمق ، يضجر قليلاً . . "

= رائحة السمك تطغى ، وتنتشر في هذه الدار .

ورغم رائحة السمك الزاعقة ، أشم رائحة فراخٍ ولحمٍ مسلوق.

" يقف أمام الدار ، يصفق ، ينادى . . "

صوت امرأة من داخل الدار :

- ادخل يا أستاذ تمام؟.

= معي ضيف .

- علي الرحب والسعة .

= أين زوجك يا بت ؟

- راقد في السرير.

= كنت أعلم أن نهايته الرقود في السرير !

- تفضل في " المندرة " يا أستاذ تمام

علشان خاطر الأستاذ .

= الأستاذ ليس غريباً .

المرأة الشابة ناظرة لعبد الله !

- نورت العزبة يا أستاذ .

- منورة بأهلها .

" الأستاذ تمام دافعاً باب الغرفة ، ينهض الرجل الراقد تحت البطانية ببطء ، يتفرس الأستاذ في وجه الرجل الأصفر الباهت ، يمسح له عرقه الذي يشر بفوطة قديمة ، مُلقاة بجواره علي السرير "

الأستاذ تمام ضاحكاً :

= وهذه آخرة الشقاوة .

" وناظراً إلى المرأة الشابة "

" المرأة الشابة مدارية وجهها بطرف من طرحتها السوداء وقائلة بخجل :

- يوه بقي يا أستاذ تمام ، ما هو اللّي عاوز كده ، وياما نصحته ، هو في أحسن من . . هيء هيء .. هيء هيء..

الأستاذ تمام ناظراً للرجل :

= إياك تكون اعتبرت . هل نظرت في المرآة ، ورأيت كيف هزلت ، وأصبحت مثل عود الحطب أو عود القصب الممصوص . .

الرجل وهو ينهج ويكح :

* خلاص . . توبة من بعد النوبة . . أرجع للحاجات دى

تاني ، منه لله عبده البقال ، وسعيد الحلاق .

المرأة الشابة :

-- عندنا سمك يستاهل بقك يا أستاذ همام أنت والأستاذ .

= أنا ضعيف قدام السمك . أما الأستاذ مالوش في السمك .

- - خير ربنا كتير ، عندنا لحمة ، وفراخ ، ورز ومرقة .

= خلاص . . الأستاذ ياكل لحمة وفراخ مع العجل اللّي وقع ده وأنا آكل معاكم سمك .

- - ما خلاص بقى يا أستاذ همام . الرجل قال لك توبة بعد النوبة . .

= بالذمة يا له ما هي اللي كانت بتشجعك ؟

" هي منسحبة ، تاركة خلفها ضحكة طويلة ، ممطوطة ، مسرسعة "

الرجل :

* كفاية تأنيب يا أستاذ همام ، أنا شفت الموت . لولا ستر ربنا . .

الأستاذ همام :

= المهم أن الراجل الجدع ، هو اللّي يراجع نفسه ، ويحاسبها ، وما يعود للغلط تاني .

" وما كاد الأطفال العائدون من الشارع يسمعون صوت الأستاذ تمام ، حتى عدوا نحوه ، وفي صوت واحد :

- جدو تمام . . جدو تمام . .

يتلقفهم بين ذراعيه واحداً تلو آخر ، ويغمرهم بالقبلات . فيما كان عبد الله " يزّر " عينيه ، ويركز بصره على مشهد الأستاذ الذي يحتضن الأطفال ، ثم ينقل بصرة إلى الرجل الراقد على السرير يئن ، وإلي المرأة الشابة العفية التي تغدو أمامهم وتروح حاملة حللاً وملاعقَ وأطباقاً ، ويفكر في ذلك الشيء الذي يتنافس علي بيعه عبده البقال ، وسعيد الحلاق لأهل العزبة الغلابة ، ولا يدرى - لماذا - بدا له أنف الأستاذ علي ضوء المصباح أكبر بكثير مما تصور !"

" الأستاذ قام متأبطاً ذراع عبد الله ، وقد غادرا شوارع العزبة تماماً . . "

عبد الله :

- إلى أين ؟

= لا تسلني عن شيء ؟!

- لكنني جئت خصوصاً لأحاورك وأسألك .

= السؤال لغير الله مذله .

- عموماً سأصبر حتى النهاية .

= لن تستطيع معي صبراً .

- سأصبر حتى أرى الكرامات .

= أقالوا عني ولياً ؟!

عبد الله ضاحكاً :

- بل قالوا : شيوعياً ، ثم ناصرياً ، فساداتياً ، و . . .

" ومحاولاً أن يستفزه ، ويجره إلى الحديث " :

– وقالوا : أنك أول من قمت بالتطبيع مع إسرائيل !!. .

والرجل الغلبان الراقد في فراشه يصارع الموت . بسبب التطبيع !!

" الأستاذ قام نافخاً ، وهازاً رأسه ، ومتوقفاً عن السير ، ولازماً الصمت ، وناظراً في اتجاه أشجار كثيفة على بُعد أمتار من جانب الطريق .

يبحلق عبد الله في الظلام ، مركزاً نظره في الناحية التي ينظر إليها الأستاذ . . بصعوبة يرى شواهد قبور ، يسير الأستاذ ناحية المقابر ، وعبد الله في إثره .

يقف الأستاذ أمام أحد المقابر في جلال وخشوع .

وقع في قلب عبد الله وهو يرى القبر ينفتح ، وفي لحظة زمنية كالومضة ، يرى القبر كطاقة نور ، يتسع شيئاً فشيئاً ويصبح باتساع الكرة الأرضية . والأستاذ قام ساجداً في النور ، وامرأة حسناء ، ترتدي حلة خضراء ، يشع وجهها بالضوء الباهر ، تمسك رأسه بين يديها ، تهزه يمنةً ويسرةً ، وتبتسم ، وصوت قوى يتردد صداه في كل مكان.."

" وينتبه عبد الله فجأة علي صوت نحيب الأستاذ قام - المتصلب أمام القبر ، تنهمر الدموع من عينيه ، ولا يدرى عبد الله إن كانت الدموع التي تسقط من عينيَ الأستاذ قطرات وحلٍ سوداء ، أم

قطرات ضوءٍ بيضاء ، وينسحب الأستاذ ، ويحس به عبد الله رشيقاً ، خفيفاً ، وكأنه تخلص من أحمالٍ ثقيلة "

الأستاذ تمام :

= أمي !

عبد الله :

- رحمة الله عليها .

الأستاذ تمام :

= جميلة وسعيدة .

عبد الله :

- أجمل من رأيت !

الأستاذ :

= الزم . . ولا تفصح !

عبد الله :

= حملك ثقيل .

الأستاذ :

= سعيدٌ بحمله .

عبد الله :

- ينتقي الله قليلاً من عباده ، الذين هم أهلّ للتلقي .

الأستاذ :

= المهم أن تجاهد .

عبد الله " متنهداً" :

- تجاهد ماذا .. ولا ماذا ؟!

الأستاذ " مردداً قول الشاعر :

= إبليس والدنيا والنفس والهوى . .

عبد الله " مقاطعاً " :

- الخلاص . كيف الخلاص وكلهم أعدائي ؟!

الأستاذ :

= ابدأ ؟!

عبد الله :

- من أين أبدأ ؟

الأستاذ :

= كل الطرق تؤدى إليه إذا التزمت أوامره وتجنبت نواهيه .

عبد الله :

- دلني على الطريق .

الأستاذ :

= اختر الطريق الذي يناسبك .

عبد الله :

- ولكنك . . اخترت الصعب .

الأستاذ :

= كلّ مُيسر لما خُلق له .

عبد الله :

- تنفذ من سم الخياط ، وتمشى على الماء ، وتطير في الهواء !.

الأستاذ :

= لا يغرنك !

عبد الله :

- ماذا أفعل ؟

الأستاذ :

= كابد وجاهد .

عبد الله :

- أنا محاصرّ ، الأسوار ، الدوائر الحمراء ، رئيس التحرير ، الزوجة ، الأولاد ،. . . ، الدائرة تضيق ، وتضيق ، أكاد . .

الأستاذ :

= لا تتذمر ، لا تشك ، افعل ؟

عبد الله :

- الكلمة سبقت الفعل .

الأستاذ :

= اجعلهما متلازمين ؟

عبد الله :

- اتسعت الهوة بينهما وتباعدت المسافات .

الأستاذ :

= عليك بنفسك .

[يتوقف الأستاذ أمام " خصٍّ " على رأس غيط أذرة . . .]

ينطلق صوت من داخل الخص :

· ادخل يا أستاذ تمام أنت وضيفك ؟

الأستاذ تمام لعبد الله :

= لا تندهش يا عبد الله ، إنه رجل طيب ، سخر الله له الوحوش ، والطيور والثعابين . .

عبد الله :

- رفاعي !

الأستاذ :

= لكلٍ مقامه ومقاله .

[الأستاذ داخلاً ، ووراءه عبد الله ، يفزع عبد الله]

الرجل متفرساً في وجه عبد الله وقائلاً له :

· اجلس ولا تخف ؟!

[كلب وذئب يلعبان ، قط وفأر يتسامران ، أفاعٍ وحيات تسعى ، بوم وغربان ، حمام وعصافير . .]

الأستاذ تمام للرجل :

= عبد الله . . ؟

الرجل " ناظراً لعبد الله " :

· جدتك لأمك كانت من الطيبات ، كان اسمها (. . ..)، أليس كذلك ؟!

[عبد الله محاولاً ألا يُظهِرْ دهشته]

- نعم . . هذا هو اسمها .

الرجل :

· جعل الله الشفاء على يديها ، بكلمات الله التامة ، من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة . .

الأستاذ تمام " متدخلاً " :

= رحمها الله ، كانت من العارفات ، وكان لقلبها عيون ، رأت طريقي ، جرتني أمي إليها وأنا في زمن الطيش والرعونة . . آهٍ لو أخذت ما قالت يومها ، لتجنبت الكثير من المطبات ، واختصرت الطريق .

الرجل :

· خُطاً مكتوبة ، لابد أن تخطوها ، وطريق مرسوم لا بد أن تسير عليه .

الأستاذ تمام :

= نعم . . نعم . . رحمة الله عليها ، الفاتحة لروحها .

[الرجل متناولاً " فردة " حذاء قديم ، ومطوحاً بها في الفراغ خارج الخص] وقائلا بغضب :

· اغرب يا لعين ؟!

ومتمتماً بكلمات .

[عبد الله مندهشاً ، من عودة الحذاء إلى مكانه ، ومن ثورة الرجل المباغتة]

الرجل :

· شيطان لعين !

عبد الله محاولاً أن يتماسك :

– طمأنك الله .

الأستاذ تمام هامساً لعبد الله :

= لا تأخذ كلامه مأخذ الهزل ، إنه رجل طيب .

الرجل :

· دعه يا أستاذ تمام .

عبد الله :

- أنا أحببتك والله ، وأثق فيك .

الرجل :

- أحب الله ، وثق فيه .

عبد الله :

- أرني طريقي ؟!

الرجل :

- لا أقدر على البوح .

عبد الله :

- ولو إشارات .

الرجل :

- وهل نتلقى يا ولدى غير إشارات ؟!

امض فيما أنت ماضٍ فيه ؟

عبد الله :

- أخشى أن يوردني هذا الطريق إلى التهلكة .

الرجل :

· لا تخش الأزمات ، ولا الهزائم ، ولا الإنكسارات .

عبد الله :

- أحلامي كبيرة . .

الرجل :

· وعزيمتك كبيرة . .

عبد الله " مشيراً إلى الأستاذ تمام " :

- أريده . .

الرجل مقاطعاً :

· تمام مُسَيَّر .

عبد الله :

- خاض نفس الطريق وفشل . .

الرجل :

· لا تتعجل في الحكم يا ولدى . . من قال أنه فشل ؟

[الأستاذ تمام متدخلاً]

= عبد الله أصاب كبد الحقيقة .

الرجل :

· الحقيقة ، الحقيقة ، ومن عنده الحقيقة يا أهل الطريقة ؟

الأستاذ تمام :

= بمقياسهم فشلت .

الرجل :

· المقياس خاطيء .

عبد الله :

- الأستاذ تمام يستحق مكاناً ، ومكانة . .

الرجل " مقاطعاً " :

· ومن أدراك يا ولدى أنه ليس في مكان أعلى مما تتصور ، تمام ارتفع ، وارتفع ، بقدر ما كابد وجاهد .

الأستاذ تمام للرجل :

= عبد الله أديب .

الرجل :

· أعرف أنه من أهل الكلام ، ومن أهل الفعل أيضاً .

عبد الله :

- مازلت أتعثر في البدايات .

الرجل :

ثق في نفسك .

[الرجل مشيراً بيده ، ومتمتماً بكلمات غير مفهومة .]

فوجئ عبد الله بأفعى تحمل " منقداً " عليه أخشاب شبّت فيها ألسنة النار ، كاد أن يقع قلبه في رجليه ، لولا أن استحضر بعض شجاعة وثقة ، وتماسك ، والذئب يحمل " كيزان " أذرة فضَّ غلافها ووضعها على النار التي خمدت ، والطير يخفق بأجنحته على النار !

يتناول الرجل ثمار الذرة المشوية ، ويقدمها للأستاذ تمام ولعبد الله . . "

الأستاذ تمام هامساً لعبد الله :

= هذا قطرٌ من فيضٍ غمر به الله هذا الرجل .

" الرجل ناهضاً ببردته البالية ، ربت على كتف الأستاذ تمام ، وشد على يد عبد الله ، وفجأة اختفى . . "

عبد الله " مندهشاً " :

- أين ذهب ؟!

الأستاذ تمام :

= لا تسأل .

عبد الله " ناظراً حوله " :

ـ أين الأفاعي ، والحيات التي كانت تسعى ، والكلب الذي يداعب ذئباً ، والقط الذي يسامر فأراً و ..و..

الأستاذ تمام :

= أرجو ألا تشقي بما رأيت .

عبد الله خارجاً من الخص وناظراً إلى السماء :

ـ (لا إله إلا أنت سبحانك)

الأستاذ تمام متأبطاً ذراع عبد الله :

= قل لي .. فيما كنت تريدني ؟!

عبد الله :

ـ يخيل لي ، بل أكيد أنك تعرف . ألست من الذين كُشف عنهم الحجاب ؟!

الأستاذ تمام :

= أين أنا يا ولدى من هؤلاء ؟ ..

إنهم صَفوة ، يختارهم الله ، وأنا مازلت غارقاً في الوحل

والطين .

عبد الله ناظراً للأستاذ تمام :

- بل شفّت نفسك ، ورقّت ، وتخلصت من الطين .

الأستاذ تمام :

= تراه قريباً ونراه بعيداً .

عبد الله :

- ألم تتلق إشارات من السماء ؟ . . ألم تغمرك فيوضات ونفحات . . ؟!

الأستاذ تمام :

= مازلت غير قادر على تلقي النفحات ، مازال جهاز الاستقبال عندي . .

عبد الله :

- يبدو أنني سأشقى بما رأيت إلى الأبد .

الأستاذ تمام :

= الأصل . . الكدح والمشقة ، المهم البلوغ .

عبد الله :

- وكيف البلوغ . . وأنا . .

أطلعني على ما دونته يا أستاذ . . من مشاهدات ، ومكابدات . .

الأستاذ :

= لم أدون بعد . .

عبد الله :

- كيف ، ورئيس التحرير أخبرني . .

الأستاذ مقاطعاً :

= ما أحلم بكتابته ، لم أكتبه بعد ، وما أتمناه . .

عبد الله :

- ومتى تقول كلمتك يا أستاذ ؟!

الأستاذ :

= أنا أحتشدها .

عبد الله :

- عدني أن أكون أول من يَطّلِعْ عليها بعد الله . .

الأستاذ :

= لا أعِدك .

عبد الله :

- هل كنت تدرى أني ورئيس التحرير . .

الأستاذ " مقاطعاً " :

= أهمني الله .

عبد الله :

- حتى لو عرفت . .

الأستاذ رابتاً على يده :

= لا تهتك يا ولدى ما ستره الله .

عبد الله " منحنياً على يده ليقبلها .

- خذني تابعاً لك يا أستاذ ؟

الأستاذ :

= اتبع الله يا ولدى ؟

عبد الله :

- رئيس التحرير . .

الأستاذ :

= اتبع الله يا ولدي .

3- انكسارات الرؤى

كُتبت هذه القصص في الفترة من 1983- 1991 ونُشرت بالصحف والمجلات المصرية والعربية .
(الجمهورية — المساء — الأهرام المسائي — أخبار الأدب — القاهرة — الأنباء الكويتية — القبس الكويتية — الأولى الكويتية)

مصري (1)

اختار مكاناً قصياً في قهوة أبو سراج يسمح له بقدر كبير أن يراقب الماء الجاري فى الفرات وينأي قدر استطاعته عن اللغط الدائر بين الناس ، فالناس ملت الحرب والحديث عنها ، فثلاث سنوات انقضت على بقائه فى العراق ولم تعد أذناه تسعيان لالتقاط الكلمات عن الحرب ولا عيناه تدمعان لرؤية شهيد ذاهب لكربلاء وما عاد يجادل أصحابه من صاحب الضربة الأولي ؟ فالضارب والمضروب صارا سواء ، والقاتل والمقتول فى النار .

الوجوه في المقهى شاحبة والعيون ذابلة والأبدان هزيلة والشفاه منطبقة معظم الوقت وإن انفتحت خرجت كلمات ممطوطة .

- شيش بيش — جهار يك ..بنج دو .

وصاحبنا غائص في أفكاره ، فالشمس تنحدر صوب الغروب، وأشجار النخيل على الشط باسقة تحجب بعضاً منها ، والماء فى النهر ينساب برقة ، وقيظ " تموز" مازالت الناس تطفئه " بالشربت" والبارد ، أخرج من جيب سترته رسالة يتيمة ونشرها أمامه وراح يقرأها للمرة الألف " وصل الشيك بألفيّ " دولار " ،

والدولار اليوم بمائة وستين قرشاً ، وآخذ فى الزيادة ، بعنا ألفاً لنسد الحاجة ، واقتصدنا ألفاً انتظاراً لوصول الدولار إلي جنيهين ، الأسعار تتزايد بجنون ومصروفات المدرسة ارتفعت هذا العام .

نفث دخان سيجارة " سومر " اشتراها من السوق السوداء بـ سبعمائة وخمسين فِلساً ونظر للشط المقابل ، فلاحت امرأة شمرت عن ساقيها وذراعيها ونزلت إلي الماء ، تغسل أكواماً من الصحون والملاعق والحلل وحولها ثلاثة أطفال يرتدون قمصاناً مهلهلة وبنطلونات مرقعة ، ويقضم كل منهم " صمونة " يابسة ، فغضّ طرفه عن ساقيها الممتلأتين وعاد يقرأ الرسالة : " تحرر محضر باسمك لأن الأرض ضنت علينا بالأرز ، ولم نورد الحصة المقررة ، وأيضاً أخذت مخالفة لإقامة دارك فى الأرض المنزرعة ، استعنا بمحام ، ولم يبت القاضي فى القضية حتي الآن وأُجلت إلى جِلسةٍ أخرى ...."

وتنهد وكأنه يطرد هماً ثقيلا عن قلبه ، ونظر إلى المرأة المنهمكة في غسيل الأطباق حتي شدت الحزام على خِصرها ، ولم ترفع ظهرها وكأنها تشتغل فى مقاومة الآفات وتخشى أن تصلب عودها من خيرزانة " الخولى" ، وإن اعترضت شطب "الملاحظ " اسمها وحرمها من أجرة اليوم ، فتتلوى أمعاء الصغار فى الدار ، ويقرص الجوع

أحشاءهم فيجافيها النوم أسفاً على فعلتها ، ويتأرق قلبها ويتوجع على أولادها ...

وأشعل صاحبنا سيجارة أخرى ، وشرع يقرأ " القطن هذا العام ارتفع ثمنه ونقص محصوله ، فاللوزة ناشفة ضعيفة ، والأنفار عملة نادرة ، فأجرة العيل بثلاثة جنيهات ، وإيراد الفدان يادوب يغطي مصاريفه ويفيض جنيهات قلائل ....."

ولكنه فجأة وجم ، وكفت الأيدي عن طرقعة الزهر وتدوين نتائج الدومينو ، وخفت وش " الوابور" وتلاشت أقدام " الجرسون " ، وعلا صوت المرأة فى الشاطئ الآخر ، والطفل يعلو ويهبط ، ويخبط بذراعيه ، تصيح أمه فى الناس أن ينزلوا النهر لنجدته ، ويصرخ أخواه ، تتوسل ، تتضرع ، والناس واقفة ، واجمة مبحلقة ، صامتة وكأن على رؤوسهم الطير .فنزع صاحبنا ملابسه وقفز إلى النهر ، وراح يشق بذراعيه الموج ، ووصل إلى الطفل فى الوقت الذي استنزف فيه الطفل مقاومته وإرادته فى النجاة والبقاء ، فحمله وراح يشق الماء خارجاً به من النهر ، لينتظره الناس على الشاطئين ونظرّات الإعجاب فى عيونهم ، وتشبثت الأم بذراعه ، وأثنت على شهامته ومروءته ، وصفق له الجمع الغفير ، والتفوا حوله.

وقال رجل مُسِن:

ولد مصري " خوش " .

وعقب آخر

وعلي " المصروة كلش زين "

وهتف الحاضرون الذين راقتهم شهامة المصري .

- الله أكبر .. وتحيا مصر ..

1983 م

ليلة كان الغدر

حين طرق الباب ، كان الوقت ليلاً ، نهضتُ مُسرعاً ، وما كدت أفتح الباب حتى وجدته أمامي ، بشحمه ...ولحمه ...وقفتُ مبهوراً ..أحدق في لباسه الأنيق ، كان أسرع من العنكبوت في محاصرتي بشبكة معقدة من الخيوط اللامتناهية ، والمحكمة الصنع ، ولم أستطع أن أفلت من خيوطه الحريرية الرقيقة التي لفها حول عنقي ، ساعة ، ساعتين ، ثلاث ساعات ، لا أدري بالضبط كم من الوقت انقضى على بقائه معي ، ملأت أعقاب السجائر أرضية الغرفة ، وصنع الدخان من حولنا دوائر ، ومستطيلات ، ومنحنيات ، وأشكالاً شتى..

بقايا خبز جاف ، وفول وجبنة قديمة وشرائح من الطماطم ، وسيقان فجل وأعواد جرجير...أكواب شاي ، وفناجين قهوة ، ووابور غاز .

أكياساً من العنب والتفاح تركها لي ، وعلبة من السجائر وقميصاً حريرياً ، وبنطلوناً وجلباباً أبيض وزجاجة عطر .

فى الهزيع الأخير من الليل .. أنظر من الشباك ، أشعر بالرهبة من الليل والمجهول والصديق القديم الخارج لتوه ، أعمدة الإنارة ذات الضوء الخافت تكشف جدران البيوت الفقيرة ، وملابس الغسيل الرثة المنشورة على استحياء تفضح بؤس الحال.

أطرد هماً جثم فوق صدري فى دخان سيجارة ، تناهى إلى مسامعي من الدور المجاورة والمتراصة فى غير نظام صياح ديكة ، وانطلق من زريبة بعيدة خوار بقرة ، ونهق حمار مربوط فى الشارع بجوار عربة حنطور ، ونهضت امرأة من نومها وصعدت إلى السطح تحمل فوق رأسها قصعة ملت بداخلها روث البهائم لتصنع منه وقوداً.

وامرأة أخري لفت رأسها بفوطة ، وفتحت شرفتها بحذر ، وتطلعت يميناً وشمالاً ، ولما تأكدت من خلو الشارع حملت بين يديها دلو ماء فتصاعدت الأبخرة الساخنة ورائحة الصابون الرخيص.

صاح طفل مع ضوء الفجر ، وتشاجرت حماة مع زوجة ابنها لأنها سبقتها إلى السطح ولمت بيض الدجاج وضبطتها الحماة متلبسة بسرقة البيض فى حجرها .

مشاهد مكررة ..تعودتها ومللتها ، أشعل سيجارة و أتمتم لنفسي بعد العُسرِ يُسراً ، أخيراً سأودع الفقر ، أنشد بصوتٍ مسموع: ضاقت ثم ضاقت . ولما استحكمت حلقاتها فُرجت ، ها هو الفرج يأتي وتنفتح طاقة القدر ، أعثر على خاتم سليمان .السفر!.. كم

هو حلم كل شاب ؟!

تنساب على الذاكرة صور لمن ودعوا القرية والفقر.. بعد أن عادوا من الغربة ، استقروا في الأحياء الراقية بالمدن الكبيرة ، والأسر الكبيرة ارتضت بهم أزواجاً لبناتها ، عقارات وأطيان ، محلات وسيارات وفلوس فى البنوك ، حياة ناعمة ، وهادئة ، ومستقرة .

فى محاولة الشمس لكسر الليل والعتمة ، يلج فى داخلي ضوء بسيط يصارع مساحة الحزن ..أربع سنوات انقضت على سفره منذ تخرجنا فى كلية التجارة ولم أره خلاها ولو لثوان ، ولم نتراسل ، ولم يُرني وجهه حتى في أوقات العطلة ، أفٍ لي ..كم أنا آثم القلب حينما ظننت به الظنون ، فليغفر لي سوء ظني به ، كم أنا نادم على جهلي بجوهره الطيب ، وآسف على شكي فى نُبل أخلاقه ، فها هو يتذكرني حينما وجد الفرصة المناسبة .

فى صراع الشمس مع الضباب ، تخرج من أعماقي صدى ضحكات طفولية ، وتنهمر على الذاكرة صور ومواقف وحكايات الدراسة .هو وأنا – أحببنا فتاة واحدة ، وتبادلنا القمصان والبنطلونات ، وتناوبنا حضور المحاضرات ، ونقل المذكرات توفيراً هدر الفلوس في السفر وشراء الكتب والملابس .نقتسم اللقمة والسيجارة وفنجان القهوة .

تغلبت الشمس على الظلام ، وهزمت الضباب ، انفتحت

نوافذ البيوت والأبواب ، وبدأ الناس يغدون في الشارع ، ارتديتُ القميص الحرير ، والبنطلون الأنيق وتعطرتُ ..وصنعتُ كوباً من الشاي ، وجلستُ أنتظر الصديق ، وبينما رفعتُ الكوب إلى فمي وهممتُ أن أشرب ، سمعت المذيع يعلن بأسى : نبأ احتلال الكويت !!

ارتجفت يداى ووقع الشاي ساخناً على القميص والبنطلون فانحرق جلدي و انكوي قلبي ، وظللت أبكي وأبكي .

1990 م

مصري (2)

حمل الولد أحلامه ومضي ..

والبنت فى (ني) العين ، وفي القلب ..

الحقائب كبيرة ، وثقيلة ، كأحلامه ..

.. أحلي أيام العمر تنصرم ، والبنت حلوة ، وشهية ، طرية، و ندية ، والولد في حُبها غارق ، وفي فقره سابح ..

باعت أمه القيراطين ، وشدَّت الحزام ، وعلى البيوت دارت ، وفي الغيطان فلَّحت ، وانحنى عودها ، وتيبس جسدها وصار كعود الأذرة الناشف فى الغيطان .

..وكافأها الولد بشهادة من كلية التجارة بتقدير ممتاز ، وتخطته الكلية ، وعينت الثاني لقربه من العميد ، ولا حكومة وظفته ، ولا قطاع خاص .

أصحاب " الوساطة" .

..وفي الصباح – جاء الفرج والحل – علي يديَ البنت !

" أبويا يعرف يا خالة واحد صاحب صاحبه بيسَفر للكويت، ويا ما ناس سافرت على ايديه ، والفتاح فتح عليهم ، إشي أطيان ، إشي عمارات ....وفلوس ياما "

لطمت صدرها وقالت :

" يروح للنار برجليه ، صدام ولع فى البلد ، وأصحابها هجوا، وابني يروح للنار ، والدخان ، والألغام ..لا يا بنتي ، رب الأرزاق موجود ، وكفاية اللي جرى لأبيه !!

....باس الولد يديَ أمه ، وساق عليها حتى طوب الأرض ، على مضض وافقت ، وباعت الجاموسة والحمار..

" يادوب " جمعت ثلاثة آلاف من الجنيهات ..بالعافية وافق الرجل وأخذها ، وكتب الخمسة آلاف الباقية بشيكات ، لأجل خاطر صاحب صاحب أبي الحلوة ذات الوجه الصبوح .

..أسبوع واثنان ، بعث الرجل " بعدم ممانعة " بوظيفة محاسب ..وكاد عقل الولد أن يطير من الفرح وحلم مع البنت

بالكوشة، وفرقة الزفة ، والعيال ، وسرقتهم الأحلام ، ولأول مرة تطرق أحلامهم دروباً جديدة .

.وطار الولد .

.وحط الولد .

قابله الكفيل " وقال له يا " طيب " لا مصانع ولا شركات (حقي) الحين ، كان (حقي) قبل الغزو مصانع (وايد) وشركات (وايد) وعمال وموظفين من كل صوب وحدب (شفت شلون) .

.. لون الولد راح ، وقلبه انكسر ، أسبوعاً وراء أسبوع ، وشهراً عقب شهر ، وحال الولد من سيء إلى أسوأ .

وفي عز الليل سمع صوت أمه ، وشافها – كالمجنونة – كانت تصرخ " ضاع الولد– زي ما ضاع أبو الولد – أبوه ركب دماغه – قال أسافر ليبيا زي كل الناس – وباع الجاموسة والحمار ، وعلى الحديدة تركنا – وشهر ، وشهران ، قبل ما يجي منه جواب .بعثوه مع آلاف المصريين ، رموهم في البحر والتقطتهم موانئ الغرباء ، وشاشات التليفزيون ..وكانت فضيحة !..الرجل ما استحمل كتم فى قلبه آهاته، وصام عن الكلام ، والزاد ، وركبه الهم ومات"

قام الولد مفزوعاً..وقرأ الجواب – للمرة الثانية بعد الألف : " يا قلب أمك ، حبيبة القلب تزوجت .. وسافرت السعودية مع

زوجها، قالوا من عيلة كبيرة هناك .أمهرها بالآلاف ، و..و "

ومسح الولد دمعة ، وقال " لا ..يا أمي ، لن أعود...ولن أكون أبي .

نهض الولد ، ولبس " دشداشة "وغترة ، وعقالاً ، وخرج وكان قد بيت النية — وعقد العزم ، أن يلقي بنفسه فى أحضان امرأة، أية امرأة تفتح له ذراعيها ، تمسح أحزانه ، وتسقيه الفرح ، قُبلات ، ودينارات !

1991 م

لمـــاذا ؟

لم يدر بخلد الولد فتحي مدرس الموسيقي أبداً ..أن البنت الشقراء مدرسة اللغة الإنجليزية التي أخذ وجهها من القمر بهاه وضياه ، قد تعلق قلبها بوجهه الرمادي ، وحين كان يضبط نظراتها الواهة متسللة إلى وجهه خلسة يذوب خجلاً ، وينشغل عنها بتقليب صفحات كتاب أو يتناول عوده ويدندن للمدرسين والمدرسات فى المكتبة ، ولكن ثمة شعور خفي يجعله يحس بأنه يغني ويعزف لها ، يختلج قلب البنت مع كل رنة وتر ..تذوب وجداً مع كل آهة حب ...يترقرق دمع في مآقيها مع كل صيحة ألم ، ينظر إليها ، تنظر إليه ، يدور بينهما حوار صامت خفي تفضحه العيون .

في الليل يئد هو هذا الحب الوليد ، وفي النهار تبعث هي فيه الحياة .

– مكتوب على جبيني البؤس ، مطرود من جنة الحب ، قد تحترقين بحبي وأحترق بحبك ، ليس عندي قصر كبير ولا رياش وثير ،

لا مدفأة أدفع بها برد الشتاء، لا فيديو ، لا راديو ، ولا تلفاز .

= قلبك لي قصر ، أهدابك رياش ودفء ، حُبك لي ورد وفل، يتوق قلبي أن يكون لعودك وتراً ورُوحي لشفاهك غنوة ، أن أكون لك ريشة ، لحناً ، عصفورة من عصافير " الكناريا " ، نهراً من حُب مصفى.

أشعلت البنت فى داخله ثورة تأججت هباً ، أنطقته أعذب الأشعار وأرق الألحان ، وفي دنياها الوردية تاه الولد وعلى صدرها رسا وغفا قليلاً ومن شفتيها ذاق الشهد ، توجته البنت على قلبها ملكاً، وبهمسات وغمزات ولمزات المدرسين والمدرسات ما عبئت ، فالبنت أحبت الولد وصار دنياها ، والولد صار بحبه مهموماً ومشغولاً ، فأني له أن يستقر ويستريح ؟ وأشواك الفقر بدأت تشوك أستار القلب الحريرية والغد كشر عن أنيابه وبدت له مخالب تنهش الحلم الجميل وتسيل دماء الحب ، وذابت دموع الولد فى دموع البنت !

تولدت الفكرة ..لا يدريان كيف ؟ ولا يعلمان من منهما تفتقت قريحته عنها؟

المهم أنها راقت هما ولا مناص من إخراجها إلى حيز التنفيذ...

بعد حصص المدرسة بدأت البنت تستقبل التلاميذ تعطيهم دروساً خصوصية ، الفلوس جرت فى يد البنت ، ورويداً رويداً تحررت البنت ، أمسكت " خيرزانه" ولوحت للتلاميذ بدفتر المكتب !.

والولد حمل " عوده " بعد الظهر وباع " فنه " لإحدى " العوالم"، وتحول هو الآخر من عوادٍ " لعالمه" إلى مغنٍ يلم لها النقوط !.

ولم ينقض العام حتى تزوجا !

1987م

الخـــــروج

- من خرج من داره قل مقداره!!

قالتهـا ، ولـوت بوزهـا ، وسـكتت ، و راحـت تعبـث بحبـات المسبحة ، وتتمتم بكلمات غير مفهومة .

= باركي سفرها يا أم !!

فى عينيه نظرت ، وغاصت فى ملامحه ، وكأنها تبحـث عـن شئ ما .

وقعت عيناه على صورة أبيه المعلقة على الجدار ، اقترب من الصورة وحملق فيها ، كسى التراب الصورة ، بصعوبة يميز ملامحه ، أخرج منديلاً وراح يمسح التراب عن الصورة ، منذ أن هـدَّ المـرض أمـه ما عاد أحد يهتم بتنظيف الصورة فتحت العجوز عينيها وقالت:

- ملامحك هي ملامح أبيك ، ولكن ملامحك باهتة الظلال!!

و أغمضت (العجوز) عينيها

قالت الزوجة وهي تنظر لحماتها التي أغمضت عينيها..

* لا تتعب نفسك ، لن توافق ، والفرصة لا تأتي غير مرة واحدة ، وأكون غبية لو تركتها ، عقد عمل مجز — ألف دولار أول كل شهر — غير البدلات والعطايا والهبات — كل زميلاتي يحسدنني عليه ، سيخرجنا من شرنقة العتمة.

فتحت العجوز عيناها وقالت :

– " ما يملأ عينيَ ابني آدم غير التراب !!

" صغيراً كان يلهو وراء أبيه العامل الفقير ، بفأسه كان يضرب الأرض ، وأمه خلفه تحمل التراب ، يسمع أنفاس أبيه تعلو وتهبط مع حركة الفأس صعوداً وهبوطاً، لحناً جميلاً ، يشتم عرقه عطراً ، تناغم وتناسق بين ضربات الفأس ودفقات الأنفاس ، وفجأة اختل النغم في أذنيه .

ارتطمت الفأس بجسم صلب ، زاد من ضرباته ، وعلت أنفاسه ، وارتفعت دقات قلبه ، حلق مع أمه حوله ، وأيديهم على قلوبهم ، رفع الفأس لأعلى كأقصى ما يمكن — ولوى جذعه للخلف ، وبكل ما يملك من عزم وقوة ضرب بالفأس — نطت مومياء قديمة ، فزعت الأم ووقع قلب الطفل في رجليه ، مدَّ الرجل يديه وأخرج مومياء تلو مومياء ، وصندوقاً كبيراً حين فتحه كان مملوءاً بالذهب والعملات القديمة ، زغردت الأم وخطف بريق الذهب عينيّ الولد ، اجتذب الرجل زوجته من ذراعها ولفه حول عنقها ، وكتم فمها ، وأمسك بحفنةٍ من

تراب وملأ عينيها، ظلت المرأة لأيام ولأسابيع تعاني من وجع في عينيها وبدلاً من أن يشيد بيتاً شيد قبراً ، ورفض أن يتسلم مكافأة الحكومة نظير أمانته ولم يعبأ بما قالته الصحف والمجلات عنه ، ولم تنقض غير أشهر قليلة حتى وافاه الأجل !... " .

لم يزل يحملق في الصورة على الجدار ، ضاقت زوجته من نظراته للصورة وقالت :

* " الأموات يحكمون الأحياء ، نحن أول شعب خلد الموتى ، والشوارع والميادين ضاقت بتماثيلهم ، كما ضاقت الجدران بصورهم، اخرج يا زوجي العزيز من هذا الحصار ، إلى الشارع المزدان بالألوان ، والأردية الأنيقة ، والأحذية الأنيقة ، والرقص فوق رفاتهم ! .

هاهي تذكرة الخروج !!. . "

فتحت العجوز عينيها وقالت :

قبل الفراق اشتري الحبيب لكل منا كفنه – احتفظ بهما في الدولاب – هات كفني واحتفظ بكفنك ؟

ضاحكة قالت الزوجة :

* " لا تخافي يا حماتي ، فعمرك ممتد في عمر ابنك.."

شعرت العجوز بأن نوراً يشع من عينيها ومن داخلها ، أعاد إليها النضارة والحيوية ، أحسَّت بأنها عروسٌ تتأهب للزفاف

وقامت تصلي !

لم يزل يحملق فى الصورة وزوجته تلملم بعض حاجياتها

طرقات علي الباب

كانت الزوجة قد ارتدت ملابس الخروج ، وتأنقت ، وتعطرت، ومضت إلى الباب ، وما كادت تفتح حتى وجدت شيخ المسجد وزوجته ، استقبلتهما بفتور ودعتهما إلي حجرة العجوز التي كانت قد فرغت من الصلاة وانهمكت فى حياكة ملابس الزفاف !!

دقائق وكانت أمها وأختها وصويحباتها والسائق ينتظر أمام الدار ، وبينما انطلقت زغرودة من حجرة الزوجة ، ندت صرخة فى حجرة العجوز ، وفي اللحظة التي كانت تقلع فيها الطائرة من مطار القاهرة كان الحانوتي يقلع من الدار حاملاً العجوز / العروس ، والزوج — الذي هو الابن — لم يزل صامتاً ، يحملق في صورة أبيه يفتش عن ملامحه !!

1986 م

حكاية مصرية

أمسك بجريدة الصباح ، وجلس على الأريكة بالصالة ، حتى تفرغ زوجته من إعداد وجبه الصباح و " يادوب" اعتدل في جلسته ، حتي سمع صراخ زوجته فى المطبخ ، قام مذعوراً ، وهرع إليها ، هبت فيه كالمسعورة :" ميت مرة قلت لك تجيب بوتاجاز بدلاً من اهباب ده اللّي اسمه وابور "

..ابتلع كلماتها ، ومد يده عنها ، ليفتح الغطاء ، ويسكب الجاز ..لم تكف عن الرطن :

.." بالذمة فى حد النهار ده ، بيستعمل " الوابور" غيرنا ؟!

..راح يعيد الغطاء ، ويحكم غلقه ، وآثر الصمت ، ولكنها أردفت قائلة بضيق وحسد :

" أم محمد الدلالة عندها جميع الأدوات المنزلية ، بهية زوجة فتحي الفكهاني عندها تليفزيون ملون ، عنايات قبل ما تدخل على زوجها إبراهيم السباك اشترى لها فيديو "

راح يشعل عود الثقاب ، وما كاد الوابور يشم رائحة النار حتى وج ، وملأت رائحة الدخان الممزوجة بالجاز المكان ، همت بفتح النافذة وصاحت :

"لم أعد أحتمل ، ألم تر جدران المطبخ كيف اسودت ؟.

أصبحت أخجل كلما زارتني واحدة من زميلاتي أو حتي أخواتي وأزواجهن" !

لم ينطق ، وتشاغل عنها بغسل الأطباق وعادت تقول " أودة الصالون ، ثم ضحكت بمرارة وقالت :

" بالذمة دي أوده – أربعة كراسي بلدي – أكل عليها الزمن وشرب "

راح يغسل يده بالصابونة ، ولم ينطق

وقالت : " ليه مش عاوز تسافر بره زي بقية الخلق ، تجيب قرشين نحسن بيها مستوانا ، إيه اللّي عجبك هنا ؟ ، أكثر من عشر سنين بتشتغل كمسري بالسكة الحديد ، بتاخد كم ياحسرة ؟ إشي إيجار ، وإشي أجرة البقال ، وإشي مصاريف ..و.."

لم ينطق بكلمة ، ونشف يديه بالفوطة ..وذهب عنها وهي تقول:

" انت ناسي إن عندك ولدين وبنت ، وبكره يكبروا ويروحوا المدرسة.. "

وتركها وهي ترطن ، وذهب إلي الأريكة وجلس ، ثم أمسك بالجريدة ، وراح يمر بعينيه على بعض العناوين ..فستان زفاف بعشرين ألف دولار! . . ركز بصره على العنوان ، وراح يقرأ التفاصيل ، ابتسم بمرارة ، وانتقل إلى عنوان آخر : ثري يتبرع بمائة ألف دولار لجمعية الرفق بالحيوان !. . أشعل سيجارة ، ونفث غضبه فيها ، وما كاد يبدأ بعنوان آخر ، حتى تناهى إلى سمعه صوصوة وصريخ رفيع أقرب إلى صفير الصرصار ، قبل أن ينهض ليلبي نداء طفلة الثالث وآخر العنقود ، الذي جاء رغماً عنه ، ندت صرخة فى المطبخ وضح أنها زوجته ، تحثه على النهوض لينقذ الطفل ، وقالت بلهجة لا تخلو من ضيق :

" بدّل هدومه المبللة بأخرى نظيفة وتعالى جهز الرضعة له "

قام دون أن ينبس ، وفعل دون تبرم ، وأردفت قائلة :

" لم يعد غير أيام وعقلي يهج "

كان قد وقف إلى جانبها فى المطبخ ، يعد الوجبة للطفل ، قالت وكأنها تخاطب نفسها ، بعد أن ضاقت بصمته :

" عيشة كلها نكد وهم ، ماشفت الراحة من يوم ما دخلت

هذا البيت ".

فرغ من إعداد الوجبة للطفل ، وانسحب دون أن ينطق ، وعاد إلي الأريكة بالصالة ، يقرأ في الجريدة .

1984 م

ونجم إذا بزغ
ونجم إذا هوى

الليل في عزبة(..) طويل ، طويل ، نسجت النساء من سواده ملابسهن وضفائرهن ، وضربت العتمة بخيوطها على الدور الطينية والطرقات الضيقة .

كنا ثلاثة نبحث عن نجم في سماء العزبة المعتم ، والنجم بعيد ، بعيد ...

. لنبحث إذاً عن عصى موسى لنشق بها فى الليل طريقاً ..

مساحة الحلم تتسع فى الليل ، رغم الصمت ، والخوف ، والعتمة ..

عيدان الذرة فى الغيطان سامقة ، تداري بخجل مع الليل مغامرات الأولاد والبنات ! ، وزهرة عباد الشمس تبحث عن نقطة ضوء لشمس غابت من زمن ..

كنا صغاراً ثلاثة ، نرتجل الطريق إلى المدرسة فى المدينة

البعيدة ، نغوص في الوحل ، والطين ، والمطر ، ينبذنا تلاميذ المدينة فى مؤخرة الفصل ، نجلس على آخر دكة ، نداري خجلنا فى المذاكرة ، يتعض أبناء المدينة من ملابسنا ، ويتأففون من لهجتنا الريفية ، تقدمنا المعلمة في أول الصف ، بغيظ يصفقون لنا ، تطاول أعناقنا النجوم ، مذ أكفنا الصغيرة ، نقبض على نجوم نخبئها فى قلوبنا ..

ترسم المعلمة فى كراريسنا نجمة ، و نجمتين ، وتطبع على جباهنا قُبلة ، وقُبلتين ..

الليل فى عزبة(...) طويل ...طويل ، والنجم بعيد ...بعيد ، والرجل الذي توقف عند الابتدائية الأزهرية يؤم الناس ، كتب صفراء من عصر بائد ، يتعثر فى قراءتها على المنبر ، الناس أمامه تغط فى نوم عميق ، يطغي شخيرها على صوته الواهن ، يمد أحد المصلين يده في سرواله ، يمسك برغوثاً يفقؤه بظفره ، أسراب من البراغيث والبق تتسلل من تحت الحصير المتآكل وتتشبث بالأقفية، وجرذان تعدو وتتخطى الرقاب!!.

الليل فى عزبة(....) طويل ...طويل ، والنجم بعيد..بعيد، وثلاثتنا في المدينة البعيدة ، نقرأ كتباً فريدة ، وأبحاثاً مفيدة ، نستقبل نجوماً على عدسات ، نعبئ أضواءها فى زجاجات معتمة ، نغير مسار الضوء فى قنوات ، والرجل الذي توقف عند الابتدائية الأزهرية يعلن فى الناس : أنه رأى فى المنام ، رسول الله

صلى الله عليه وسلم !! ...استيقظ النائم واستفاق الشارد ، وتحلقت فيه العيون ، وقال المصطفي بعد أن مست يده الكريمة جبهتي ، فامتلأ قلبي نوراً ، قال : قم يا إمام فى صحن دارك معزة عِشار من دون أن يمسسها تيس ، الذي يتشكل فى بطنها جدي مبروك آية للناس ، وفي لبنها شفاء — العاقر ستلد بإذن الله إذا شربت من لبنها والكسيحة تمشي ، والعانس تتزوج ....!!

الناس تقف أمام بيته قطارات وصفوفاً ، يقطر من ضرع المعزة قطرات لبن يكبها فى فم المريض ويقرأ له بعض التعاويذ ويعلق فى عنقه حجاباً .

على صدور ثلاثتنا أو سمة ، ونياشين ، وقلائد ، ونجوم بزغت فى صدورنا بددت مساحة العتمة ..

1988 م

الصرماتي

(1)

يذكر الحاج محمد أن أول حادث سرقة للأحذية بدأ فى جامع النصر الكبير، وأن اللص بدأ بحذائه اللامع المتين ، قال له بعض المصلين يواسونه : " أخذ الشر وراح " ، تكررت السرقة فى مساجد أخرى ، وظلت تتكرر لأسابيع وربما استمرت لأشهر ، وأخيراً أمسكوه متلبساً ، أشبعوه ضرباً بالنعال ، وكانت الأولاد التي أشارت إليهم أصابع الاتهام أكثر طرباً بالقبض على اللص ، وأكثر احتفالاً به ، وقال من شاهد الحادثة وشارك فيها : " إن قفاه تورم ، وانسَّالت خيوط الدم من أنفه وفمه " ، واختفى اللص وربما غادر المدينة ، ولم يظهر إلا بعد عام أو عامين ، شاهدوه يحمل على ظهره صندوقاً خشبياً أسود يجوب به فى الشوارع ، وعلى المقاهي ينادي : ورنيش .بوية ، تلمع يا بيه !

يجلس تحت قدميَ " الزبون " ، بوجهٍ أصفر كالح وثوبٍ بالٍ ، ويعمل فرشاته بهمة في حذاء " الزبون " ..وكان يترقب العساكر ،

يعرف مواعيد إجازاتهم ، يتلقف " البيادات " والأحذية ، تلتقط أذناه كلمات عن الحرب ، يتشوق لمعرفة الأخبار منهم ، فالمذياع في المقهى يقول بغير ما يقولون . .

(2)

أيام عصيبة يمر بها ، ما عاد العساكر يأخذون إجازات كسابق عهده بهم ، قليلون ، قليلون جداً الذين يأخذون إجازات ، وما عادوا يهتمون بتلميع " بياداتهم " ، يطرق بفرشاته على الصندوق وينادي بصوت حزين :

ورنيش ...بوية ..تلمع يا بيه!!

يحول البك وجهه عنه ، ولما أدركه اليأس وقرصه الجوع — كان الوحيد — بين الجموع الحاشدة الذي يقول : تنحَّ ...تنحَّ ولكن صوته يذوب في أصوات الجماهير الهادرة ...لا ...لا تتنحي ..لا تتنحي.

(3)

في مدخل السوق الكبير — الذي يُقام كل يوم أحد — نحى صندوقه الخشبي جانباً وراح ينادي :" أصلح الأحذية القديمة " ..تكاثر

حوله الناس ، يركب لحذاء هذا نعلاً أو فرشاً يدق لحذاء تلك كعباً أو وشاً .

والغريب أن زبائنه لا يعرفون اسمه ، ولم يفكر أحد فى معرفة اسمه ، فالمترددون على المساجد يذكرونه بلص الأحذية ، وبعض الناس يعرفونه بماسح الأحذية ، والغالبية ينادونه بالصرماتي ...

فى السنوات الست العجاف ، أغلقت أغلب محلات الأحذية أبوابها ، فغربت شمس تجار الأحذية وبزغ نجم الصرماتي ، فى السنوات الست العجاف لم يعد نُظار المدارس يعنفون التلاميذ لتخليهم عن الحذاء اللامع الأنيق ، وفي الأعياد ...اعتبر الآباء الحذاء ترفاً - كالكعك والبسكويت - يمكن الاستغناء عنه ، والصرماتي يعرف أكثر من غيره أن الناس فى قُرانا ومُدننا الصغيرة يشيعون الميت حُفاة ، ويحرم الأهل على أنفسهم لبس الجديد ، ومصر كلها فى مأتم ، شهيدٌ هنا ، وجريحٌ هناك ، ومالٌ شحيح ، وزادٌ قليل .

بعينين ثعبانيتين قال الصرماتي لأصحاب محلات الأحذية الذين لا يهشون ولا ينشون :

هذا زمن اللالباس واللامداس !!

ساومهم على بضاعتهم ، على مضض باعوها له بثمن بخس ليفوا بالتزاماتهم .

(4)

فـى الوقــت الـذي انطلقــت فيــه الطــائرات مــن مطاراتهــا ، وخرجت المدافع من مخابئها ، انطلقت الزغاريد فى السوق ، وصيحة الله أكبر للجنود على الشاطئ الآخر للقناة لاقت صدي لـرواد السـوق ، وسوقاً بعد سوق ، أحس الصرماتي أن نجمه آخذ في الأفول ، فبادر باستئجار محل كبير بشارع النصر الرئيسي بالمدينة ، ووضع على واجهته يافطة كبيرة كتب عليها : " أحذية وخردوات لصاحبها ...."

1989 م

رؤى قصيرة جداً

من " ترنيمة البوح " الطويلة جداً

2005

إلى ، " امرؤ القيس ونزار قباني ، وبدر بدير وعزت الطيرى ،
ومحمد سليم الدسوقى ورضا عطية وأحمد حسن .. وكل شاعر
شهقته إمرأة بشراً ورفرته نبياً "

ترنيمة البوح

(1)

رغم الضباب ، ورغم الغمام ، رغم غلالة الحزن الكثيف
وانكسارات الرؤى

وحدكِ .

الشامخةُ كالنخلة ، السامقةُ كالنخلةِ ، لكِ طلعٌ نضيد .

" وأطلق حمائم رُوحي ، تحلق حولك ، تعانقُ خاصرتكِ ، تُقبلُ
جِيدكِ ، وها الفم الجميل . "

(2)

أراكِ

[في " شـرنقات " الـزمن مسـافرة / تبحـثين عـن أرضٍ جديدة] .

فحلي بأرضي . فراشةً بيضاء تحوم ، وتسّاقطي على قلبي مطراً خصباً طاهراً ، فإني انتظرتكِ كثيراً – وفوق جسدي الناحل أحكمتُ الرداء – وسرتُ طريقي ، وحيداً ، منفرداً ، إلا من صُحبة قلبي الأجوف ، أبحثُ عنكِ ، أسأل عنكِ : الرمل ، الموج ، الزهر ، نغم الكمان . وها أنتِ ، ويالفرحَتي !! قبل أن يدركني الغروب ، تهلين ، من خلف عتمة الليالي ، بدراً ، ينير دروب القلب ، ثنايا الروح .

فدعيني: أمسكُ بتلابيب اللحظة العبقرية ، وأفترشُ الخُضرةَ في عينيك " مُصلي " ، وأتوضأُ من شُهد فيكِ ، وأسجدُ لله سجدتين)

(3)

حلمتُ بكِ امرأة ، صدرها لا يحده حد !!

باتساع المدى ، يسع أحلامي ، أحزاني ، نزقي ، تمردي ، عصياني .

أتوسده كطفلٍ بريءٍ خالي الهموم ، كمراهقٍ مشاكسٍ عنيد ، كشابٍ عفيٍّ عتيد ، كشيخٍ وقور .

أطلقي يمامتيّ صدرك ، يلجان ، الحَبَّ / الحُبَّ ، في منقاري — كفرخ صغير لم يكسُه الزَغَب .

وإذا ما جن الليل ، والمطر ، والزمهرير ، فضميني ، ودثريني، وأوقدي النار، والحطب .

فإني أحلم بكِ ، امرأة " جنية" ، تشعل الليل في جسدي ، امرأة " وحشية " ، " أسطورية " : سهام جسدك ناراً ، تفتتني ،

تجعلني أتشظى ، أتناثر كرات من لهب ، فلملميني : رغبة ، نزوة ، اشتهاء .

دعينا : لا نجادل أنفسنا ، ولا نعاند رغبتين .

ولنتأمل سوياً : ألق المقلتين ، شفق الخدين ، والأنفين ، ارتعاشة الشفتين .

ولنحيا قُبلتين ، وأحفر ملامحي على فضاء جسدكِ البض ، السامق ، الشاهق ، وأترك بصمات شفتيّ على خديكِ : وشمة ، وحمة ، علامة ، وعلى شفتيكِ : ابتسامة ، وأذوِّب أبعاضي فى أبعاضِك ، ذراتي فى ذراتِك ، وأصير أنا أنتِ ، وأنتِ أنا واحداً ، " لا إله إلا أنت سبحانك ...الواحد الأحد ، الفرد الصمد .." ، ونصير غنوة ، تتردد فى وشوشات النسيم ، لحناً أملا ..في ابتسامة الفجر النديم .

صيريني شعراً بين شفتيك " القرمزيتين " واسكبيني :همساً، سِحراً ، هياماً ، حُسناً ، وزخات مطر ، قطرات ضوء ، و" ندي " .

يا " ندي " القلب ونداء الروح واشتهاء الجسد .

(4)

دعيني أحلق في سماء عينيك " الخضراوين" الجميلتين ؟

وإذا أخذتني سِنة من نوم أو نعاس ، فأطبقي الجفنين ، والأهداب ، وأحكمي الغلق ، ولا تجعلي أحداً يزعج نومي ، فإني أبحر في شرايينك ، أتدفق دماً نقياً ، أتشكل كريات دم ، ، أصير نبضات لقلبك .

أصيخي السمع لكل نبضة / تسبيحة ، فالنبضات لضمتها في يدي مسبحة أهديتها : للناسك والعابد والزاهد والعارف ، لضمتها عقداً من لألئ أطوق به جيدك .

أنا ، أنفاس دافئة تتردد في صدرك

ازفريني "مسيحاً" : حراً ، طليقاً ، ضاحكاً ، مُستبشراً ، أمسح خطايا الخُطاة ، وذنوب العُصاة ، أململم جِراح البشر، وبقايا الإنسان .

ازفريني "مسيحاً" : أنشر المحبة ، أوقف عاصفة اللحن الأسود ، لا طلقة مدفع ، لا حقد ، لا بارود ، لا جبروت ، أوقف طوفان الدم ، أقتل غربان الموت ، والطاغوت ، والخوف ، والدجى ، والليل .

(5)

يا ....

يا من شهقتني بشراً ، وزفرتني نبياً !!

من " خُضرة " عينيكِ : اكتسي الكون ، وتزيا .

ومن ماء عينيك : كان النهر " أقسمت ألا ألوث ماء النهر "

وكانت الأشجار ، والغيطان ، والأسماك ، والحيتان .

ومن لون وجهك : كانت الشموس، والأقمار ، والنجوم .

ومن رائحة عرقك : كان عبير الورد ، وشذا الفل والريحان والياسمين .

انتظرتكِ:

امرأة " كونية " ، امرأة " أسطورية " ، فافتحي لي باب كهفك ، قلبك ، خزائن أسرارك ، وألهمي قلمي الرؤي الجديدة : شعراً، نثراً ، نغما ، رقصاً حكايا

إشـــــارة من السيرة الذاتية

- الاسم بالكامل : مجدي محمود عبد القادر جعفر .
- اسم الشهرة : مجدي جعفر .
- مواليد : ديرب نجم — الشرقية .
- قاص وروائي
- عضو عامل باتحاد كتاب مصر .

وأمين صندوق الاتحاد " فرع الشرقية ومحافظات القناة وسيناء ".

- محاضر مركزي بالهيئة العامة لقصور الثقافة.
- عضو عامل بنادي القصة .
- عضو بجمعية دار الأدباء .
- مدير تحرير سلسلة " أصوات معاصرة "
- رئيس نادي أدب ديرب نجم .
- عضو مجلس إدارة النادي الأدبي المركزي بالشرقية .
- عضو الأمانة العامة لمؤتمر أدباء مصر (المنيا 2003 م)
- عضو أمانة مؤتمر إقليم شرق الدلتا الثقافي الثاني (2002 م)
- عضو أمانة مؤتمر إقليم شرق الدلتا الثقافي الرابع (2005 م)
- مشرف القصة بالنادي الثقافي بمديرية الشباب والرياضة بالشرقية من عام 1996 حتي عام 2004 م .
- مشرف القصة بمنتدى صباحات أدبية (السعودية)

** صدر للمؤلف

1 - أصداء رحلة شاب على مشارف الوصول .

" مجموعة قصصية – أصوات معاصرة "

2- أميرة البدو

" رواية – أصوات معاصرة "

3- أم دغش

" مجموعة قصصية – الهيئة العامة للكتاب "

4- (50) قصة قصيرة (م)

" كتاب الجمهورية – يونيه 2002 "

5- حواديت من الشرقية (م)

" كتاب الأدباء – الهيئة العامة لقصور الثقافة "

6- القصة القصيرة المعاصرة (م)

" أصوات معاصرة – أبريل 2001 م"

7- ترانيم شرقاوية – الإصدار الأول (م)

" وزارة الشباب والرياضة 2001 م"

8- ترانيم شرقاوية – الإصدار الثاني (م)

" وزارة الشباب والرياضة 2002 م"

* نشر له العديد من القصص والمقالات والدراسات النقدية بالصحف والمجلات المصرية والعربية .

* تُرجمت بعض قصصه القصيرة إلى اللغة الإنجليزية وقام بترجمتها المستشار : تهاني الجبالي .

* نوقشت أعماله بالعديد من المحطات الإذاعية والقنوات التليفزيونية منها :

البرنامج الثقافي ، إذاعة البرنامج العام ، صوت العرب ، الشباب والرياضة ، وسط الدلتا ، إذاعة جنوب الصعيد ، القناة الرابعة ، القناة السادسة ، القناة السابعة – القناة الثالثة – القناة الثقافية المصرية .

**تناول أعمال المؤلف بالنقد :

أ.د. حامد أبو أحمد ، أ . د . حلمي القاعود ، أ . د . حسين علي محمد ، أ .د . صابر عبد الدايم ، أ .د . أحمد زلط ، أ . د. مرعي مدكور ، أ . د . خليل أبو ذياب ، أ . د . عزت جاد ، أ . د مصطفي الضبع ، أ .د . أحمد الحسيني ، د . محمود حمزة ، د . محمود نسيم ، أ . محمد محمود عبد الرازق ، أ . حزين عمر ، أ . بهيج إسماعيل ، أ . يسري السيد ، أ . بهي الدين عوض ، أ . مصطفي القاضي ، أ . عبد السلام فاروق ، الراحل شمس الدين موسي ، الراحل مصطفي عبد الوهاب ، الشاعر الراحل محسن الخياط ، الراحل فتحى عامر ، أ . أحمد عبد الرازق أبو العلا ، أ . إبراهيم جاد الله ، أ . أمين مرسي ، أ .جمال سعد محمد ، أ . محمد عبد الله الهادي ، أ . طه محمود مقلد ، أ . فرج مجاهد ، أ . بدر بدير ، أ . العربي عبد الوهاب ، د .هيام عبد الهادي صالح ، أ .محمود الديداموني ، د. تامرعطية ، أ . عبد الله مهدي، أ .محمد عبد الحافظ ناصف ، أ . إبراهيم عطية ، أ . السيد عبد الله الخولي ، أ . أحمد عبده ، أ . ثروت مكايد ، أ . أبو العينين شرف الدين، أ السعداوي الكافوري ، أ . حسام المقدم ، أ . عمرو رضا ، أ . صبري قنديل ، أ .

محمد عبد السميع نوح ، أ. يوسف شهير ،أ . سمير البحيري ، أ . محمد سمير عشري ، أ . حامد حبيب ، أ . محمد حمد ، و.. وآخرون

* أعدت جماعة القصة بمحافظة الدقهلية كتاباً نقدياً بعنوان " مجدي محمود جعفر أديب على مشارف الوصول " بأقلام أعمدة النقد فى مصر والوطن العربى ويقع الكتاب فى (260) صفحة من القطع المتوسط .

* أعد الباحث والناقد ثروت مكايد كتاباً نقدياً " قبد الطبع " عن رواية أميرة البدو .

* تم تدريس قصص مجموعة أم دعش لطلبة الدراسات العليا بكلية اللغة العربية بالرياض لثلاثة أعوام متتابعة .

* حاز المؤلف على العديد من الجوائز على مستوى القطر المصري وعلى مستوى الوطن العربي .

** تحت الطبع :

1- زمن نجوى وهدان (رواية) . مطبوعات اتحاد الكتاب .
2- مشاهد من حياة بامة " مجموعة قصصية للأطفال "
3- رؤى نقدية في نصوص مصرية " مقالات "
4- نص درامى .

** للتواصل مع المؤلف

13 شارع مدرسة التجارة – ديرب نجم – الشرقية

ت : 055/3767986

MAGDI _ GAAFER @ YAHOO .COM

الفهرست

رقم الإيداع بدار الكتب
2006/5399
الترقيم الدولى I.S.B.N
977-374-171-0

دار الإسلام للطباعة والنشر
0122614363 - 050/2266220